
11
أنا أفكر
iThink
magazine مجلة
لأن اليقين حماقة
بوبي هاندرسون و الباستافاريانية
اللاسلطوية : ماهي، وماليس منها
الله والمخلوقات الماورائية الأخرى / نشوء العقيدة القرآنية في التوحيد

كلمة رئيس التحرير

هل أنا ملحد سلفي وهابي ؟
معضلة سوريا

لطالما كنت ضد حكم الاسد و ليس الاسد وحده بل كل الديكتاتوريات العربية التي اذا اردنا الحديث عن اقل منجزاتها فنتحدث عن تخليف شعوبها بشكل ممنهج و عن طريق دعم التوجهات و الحركات الدينية و أفشال التعليم و القضاء على الطموح و قتل أو حبس الخبرات وسياسات كم الافواه بمختلف الطرق و التقوقع الداخلي و رفض كل أشكال المخالطة الغير شرعيبعثية مع الخارج المتحضر .

نعم أنا ضدهم لم اكن يوماً منتسباً لحزب البعث . لم انتخب مرة و لا أي نوع من تمثيليات حافظ و بشار الديمقراطية .

لم أنتسب يوماً الى أحد منظماته الهزلية ك شبيبة البعث أو حزب البعث.

و عندما سنحت الفرصة للخروج ضدهم كنت من أول الخارجين و لم أوفر أي شكل من أشكال رفض الحكومات الا و استعملته أو كنت طرفاً فيه الا طبعاً التسلح .

لكن لم و لن اكون و تحت أي ظرف صديقاً مع الحركات الطائفية الدينية و على اختلاف مسمياتها و حتى التي توافق رؤيتي في سلمية التحرك .

لم أخرج يوماً بمظاهرة من مسجد بل كنت أنتظرهم في سيارتي و انا أشرب البيرة لحين خروجهم .

أو كنا ننظم مظاهرات تخرج من الشارع .

المعضلة بدأت و بسبب طول فترة الثورة السورية و تحول صورتها العامة لتحرك ديني أقرب الى الجهاد منه الى ثورة .

انه وضع شكل محدد حالياً للحراك السوري أي و رغم كوني ملحداً و كوني معادي لحركات التدين لكني اجن من يتهمني بالاصولية و السلفيه لكوني ناشطاً في الحراك الشعبي السوري .

اعزائي الشعب السوري ليس سلفياً و ربما المظهر السلفي للثورة هو نتيجة و مظهر شاذ لا قاعدة .

بدأ الحراك السلمي السوري على يد علمانيين لبراليين ون كافة الطوائف و كبرى التنظيمات السرية للمظاهرات كانت مثالاً يحتذى به في التعايش الأهلي بين الطوائف و الايديولوجيات و الاديان .

لكن أمعان نظام بشار في القتل و الاعتقال و التعذيب و التدمير أنشأ هامشاً عنيفاً كردة فعل و تطور هذا الهامش لتشكل كتائب مسلحة لحماية المظاهرات و الثوار الامر الذي و منطقياً سيؤدي حتماً لتطور المواجهة المسلحة و مع السلاح يأتي المال القذر و الحركات التكفيرية و أسلمة الحراك .

الحركات السلفية و الوهابية و الجهادية وجدت أرضاً خصبة في سوريا و رغم قلة أعداد أفرادها الا أنها تأخذ مساحة أعلامية كبيرة و موجهة بأموال الخليج و ترسم مظهر الثورة السورية كما تريد لا كما هي حقيقة .

و خير دليل أنه و لغاية اليوم لم تتوقف المظاهرات السلمية لأن الشعب السوري و بأغلبيته يرفض التوجه المسلح و يرفض تحويل سوريا الى منطقة تصفيه حسابات اقليمية على حساب دماء أبنائه .

أما أن يقال أن كل التحرك ضد نظام بشار هو تحرك سلفي وهابي ديني فهو أمر عاري تماماً عن الصحة و نسبة من يحملون هذاالفكر لا تمثل أكثر من خمسة في المئة من مجموع التحرك الثوري بأقصى الاحوال و لكن و للأسف و بسبب الدعم المادي و الاعلامي الغير محدود أصبح المشهد السوري كله ملوناً أعلامياً بلون هذا التحرك .

نحن طلاب حرية و دولة مدنية ديمقراطية

لانطلب دولة وفاق طائفي بل دولة بعيدة عن أي تحديد ديني أو طائفي داخل حدودها و بين أبنائها .

هكذا كانت سوريا قبل البعث و من هذا المنطلق سنجعلها .

و سترون ما أعني عند أول أنتخابات حرة و نزيهة ستشهدها سوريا لترو كم تشكل حقيقة تلك الجماعات على أرض الواقع .

سوريا هي مهد التعايش و مصدرة حضارة التعايش الى المنطقة و لن يسلبها هذه الحضارة لا حزب البعث و لاحزب الله و لا حزب وهاب .

و عيشوا سعداء
ليكون مستقبلنا سعيداً
أيمن غوجل



هيئة التحرير

facebook.com/ayman.ghoj
facebook.com/I.Think.Magazine.
a.ghojal@gmail.com





جيرمين غرير

٢٩ كانون الثاني ١٩٣٩



كاتبة استرالية أكاديمية صحفية وباحثة في الأدب الانكليزي الحديث وذات أراء شهيرة بالدفاع عن حقوق المرأة في أواخر قرن العشرين

ولدت جيرمين غرير في ملبورن عام ١٩٣٩ وترعرعت في ضاحية مينتن الساحلية. عمل والدها ممثل إعلانات لدى صحيفة. تلقت غرير تعليمها في مدرسة دينية خاصة، وحازت على منحة تعليم عام ١٩٥٩ ومن ثم درست في جامعة ملبورن الأسترالية. وبعد نيلها شهادة في اللغة والأدب الإنجليزي والفرنسي، انتقلت غرير للعيش في سيدني حيث انخرطت مع جماعة سيدني بوش.

شغلت غرير منصبها التعليمي الأول في جامعة سيدني الأسترالية حيث نالت عام ١٩٦٣ على شهادة الماجستير في الشعر الرومانسي برسالة عنوانها «تطور النمط التهكمي لدى بايرون». وفازت رسالتها بعد سنة على منحة الكومونولث والتي مولت دراسة شهادة الدكتوراه في جامعة كامبريدج البريطانية حيث ارتادت كلية نيوهام والمحصورة على النساء.

نالت عام ١٩٦٨ شهادة الدكتوراه في دراما العهد الإليزابثي حيث قدمت رسالة بعنوان «قيم الحب والزواج في أولى أعمال شكسبير الكوميدية» وعملت في جامعة ووريك.

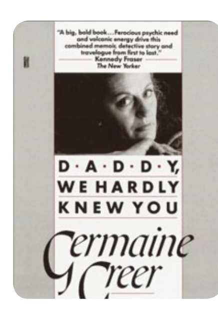
ثم انتقلت إلى سدني حيث هناك انخرطت مع فلاسفة الأناركية وتحدد غرير انتمائها عام ١٩٧٢ إلى الشيوعية اللاسلطوية «الاناركية» حيث بعد تعرفها عليها قالت «لقد ولدت اناركية التفكير لكني لم أكن اعرف بهذه التسمية» حيث بعد أن قرأت نصوص في الأناركية شعرت أن هذه هي الفلسفة التي لازمتها بالفطرة واعتبرتها المنطق في كل حياتها.

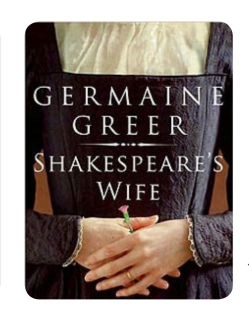


عام ١٩٧٩ أعطت جامعة تولسا اولكهوما لجرمين غرير مركزا في الدراسات الأدب النسائي وفي بدايات الثمانينات أسست غرير صحيفة أكاديمية تدعى دراسات تولسا اولكهوما في الأدب النسائي.

تعرف غرير أهدافها الشخصية كمحررة للمرأة للتمييز عن المساواة مع الرجل حيث تحرر المرأة عندها يتطلب تقبل كافة الاختلافات البيولوجية للمرأة والحفاظ على جوهر أنوثتها وتحديد قيمتها وأولوياتها ومصيرها حيث ترفض مبدأ المساواة مع الرجل لانها تعني رضا المرأة بحياة «رجل غير حر» وحتى على العكس ترى جيرمين ان المرأة متفوقة على الرجل حقيقة كونه بيولوجيا أنه (الذكر) أنثى ناقصة وتقول انه عندما تتبنى المرأة النظرة العامية للمجتمع القاسية اتجاه المرأة تجعل نساء تلك المجتمعات تطور شعورا بالذنب اتجاه أجسادهم وتنتج نساء ضعيفات معزولات بلا إحساس أصيل بالسعادة.







كتب غرير وأفكارها سبب مع الشهرة والمديح العديد الانتقادات منذ كتابها الأول عام ١٩٧٠

The Female Eunuch
The Obstacle Race
The Change
Shakespeare›s Wife
The Obstacle Race, the Fortunes Of Women Painters and Their Work
The Change Women, Aging and The Menopause
Whitefella Jump Up



إن نداء صلوات الأديان وموسيقاها الدينية المحركة للمشاعر تحرك مشاعر حزن شديد لدى جيرمين لرؤية هذه الصرخة الإنسانية البائسة باتجاه كائن ما ...الذي ببساطة هو غير موجود

وفي مواجهتها للبؤس ومعاناة أطفال إفريقيا تضيف قائلة إن وجد الله فأنا أكرهه

التطور هو ما عليه أن يكون ,فالطبقات العليا دائما تموت وهنا تكمن جماليتها

المكتبة هي المكان الذي تفقد فيه براءتك من غير أن تفقد عذريتك

بازدياد الناس الذين نزعجهم بآرائنا يزداد يقيننا بأننا محقون

لانس أرمسترونغ

١٨ إيلول ١٩٧١



الرياضي الأميركي المشتهر بحيازته المرتبة الأولى في سباق العجلات سبع مرات على التوالي بعد ان نجى من سرطان الخصية كما هو معروف بأنه المؤسس لجمعية لانس أرمسترونغ لدعم أبحاث السرطان.

أرمسترونغ كان رياضيا منذ صغره فقد بدأ بالركض والسباحة منذ السن العاشرة وشارك بمسابقات العجلات وترالثون «سباق مركب من ألف متر سباحة و ١٥ ميل على العجلات ٣ أميال ركضا» في عمره ١٣.
وفي عمره ١٦ أصبح يصنف من المحترفين رياضيا بهذا المجال وأصبح بطل الترياثلون في عامي ١٩٨٩ و ١٩٩٠.
وبعدها بقليل اختار التركيز على سباق العجلات كونها نقطة قوته ومن السباقات المفضلة لديه.
في عمره ٢١ عندما أصبح اصغر متسابق يفوز بالبطولة يو سي آي العالمية التي اتخذت عام ١٩٩٣ في نورواي الممطرة أيامها.

في أكتوبر عام ١٩٩٦ شخص أرمسترونغ بسرطان الخصية والذي كان منتشرا في كل من رئتيه ودماغه حيث كان يبصق دما ويتعرض لألم شديد في خصيته لذا تم إخضاعه لجراحة مستعجلة لاستئصال الورم وإنقاذ حياته وبعد العملية أعلن الأطباء أن لديه نسبة نجاة اقل من ٤٠ ٪.

بعدها اختفى سرطانه تماما وفي عام ١٩٩٨ عاد لتدريباته الرياضية المكثفة ليشارك في اوربا ممثلا وطنه بعد مرض قاتل كاد يفتك بذلك الرياضي الواحد لكن بالرغم من نسب شفاءه القريبة من المعدومة هزم مرضه وليس ذلك فحسب فبعد عودته الى عالم الرياضة فاز بأعلى الميداليات وليس لمرة واحد بل لسبع مرات على التوالي.





لكن قصته لم تنتهي في خط نهاية ربحه لسباقات «تور دي فرانس» فتجربته مع المرض جعلته عضوا فعال في مساعدة أبحاث محاربة السرطان وحفزته لإطلاق حماسه وإصراره على الفوز من جولات السباق إلى ميادين محاربة السرطان.

وفي عام ٢٠٠٩ حاز أرمسترونغ على المرتبة الثالثة في سباق تور دي فرانس وأعلن تبرعه بمقدار ١٣٠ ألف دولار من عائدات المسابقة إلى جمعيات محاربة السرطان في فرنسا واستمر نشاطه هذا إلى عدة مناطق إلى أن أعلن عن جمعيته العالمية لمحاربة السرطان من غير حدود للسيطرة على السرطان حول العالم.



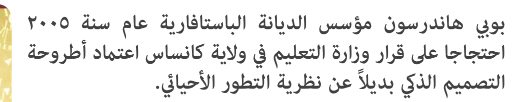
في ٥ حزيران عام ٢٠١٢ شكلت جمعيته ضغطا بمساعدة جامعة كالفورنيا عاد لأبحاث السرطان مايقارب ٥٠٠ مليون دولار بجمع دولارا من كل علبة سجائر تباع من شركات التبغ في كاليفورنيا فبعد أن دخل أرمسترونغ التاريخ عام ١٩٩٩ بفوزه بأول ميدالية بعد شفاءه اعتبرا بطلا حقيقيا لهذا العصر وملهما الكثيرين لمحاربة السرطان.

إن كان هناك فعلا كائنا هناك يقف لمحاكمتي أتمنى أن يحكم إن عشت حياتا حقيقية ليس لإيماني بكتاب ما

تمنيت بقوة وتمسكت بالأمل لكنني لم أصلي يوما

إن كان هناك اله لمازال لدي كلا خصيتي

بوبي هاندرسون و الباستافاريانية



بوبي هاندرسون مؤسس الديانة الباستافارية عام سنة ٢٠٠٥ احتجاجا على قرار وزارة التعليم في ولاية كانساس اعتماد أطروحة التصميم الذكي بديلاً عن نظرية التطور الأحيائي.

في صيف عام ٢٠٠٥ نجح المتشددون الأميركيون في ولاية كنساس بتغيير منهاج العلوم في المدارس « التطور البيولوجي » والذي يعتمد على التجربة والملاحظة والقياسات في تفسير ظواهر تطور الإحياء، وهو العلم التقليدي المعروف عالمياً ، وبعد الضغط على الحكومة أدخلوا عوضاً عنه منهج«التصميم الذكي» وهو مشروع يستخدمه الإنجيليون كرد على نظرية التطور البيولوجي.

اعترض الفيزيائي بوبي هندرسون على تأثير الإنجيليين على العلوم في المدارس واحتجاجاً على تحيّز المحافظين الجدد لهم وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن- ما يعارض «استقلاليّة» العلم التي يضمنها القانون!- قام بابتكار ديانة فكاهيّة جديدة ووضع أسسها بطريقة لا يستطيع العلماء نقضها بالبرهان العلمي«كجميع الأديان» وبعد أن كسب أتباعاً كثر طلب من الحكومة أن تعامله كالإنجيليين وأن تُدخل مفاهيم ديانته أيضاً إلى درس العلوم طالما ان الكثيرين يدعمون هذه الديانة الجديدة!

وبطل هذه الديانة أو «إلاهها» هو عبارة عن وحش مكوّن من المعكرونة وكرتين من اللحمة ، يسمى وحش المعكرونة الطائر.

ففي رسالة مفتوحة في موقعه الشخصي، عبر بوبي عن إيمانه بخالقٍ في شكل سباغيتي وكرات لحم اسمه «»وحش السباغيتي الطائر»، وطالب أن تدرَّس الديانة الباستافاريانية في حصص العلومِ في المدارس، ما قام به بوبي بالأساس كان استخدام حجة مستحيلة وغير منطقية، حسب رأيه، تعتمد على الأسس ذاتها التي يعتمد عليها الخلق الذكي حجة ضده وبسبب الشهرة الكبيرة والتغطية الإعلامية التي حاز عليها وحش السباغيتي الطائر أصبح الكثير من الملحدين مثل ريتشارد دوكينز يستخدمونه في مقالاتهم وكتبهم ومناقشاتهم.

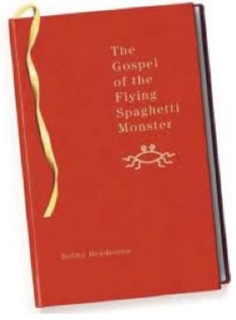
في نوفمبر ٢٠٠٥ استلم بوبي هندرسن ٨٠,٠٠٠ دولاراً امريكياً كدفعة أولى حتى يكتب كتاب وحش السباغيتي الطائر.
حسب قول الكاتب فإنه سيستخدم الأرباح من بيع الكتاب ليشتري سفينة قراصنة ليجول بها العالم ويدعو الناس إلى الباستافارية.
تم نشر الكتاب في ٢٨ اذار ٢٠٠٦ وهو كتاب وحش السباغيتي الطائر الذي بالنسبة للباسافاريين مثل الإنجيل بالنسبة للمسيحيين أو القرآن بالنسبة للمسلمين.

يحتوي هذا الكتاب شخصيات مثل القبطان موسي وشخصية شبيهة بموسى و أيضاً على الـ«كنت أفضل لو لم تفعل» الثمانية كسخرية من الوصايا العشر.

في آب ٢٠٠٥ أعلنت شبكة BoingBoing.net عن جائزة بقيمة ٢٥٠,٠٠٠$ وبعد ذلك رفعتها إلى ١,٠٠٠,٠٠٠$ لمن يثبت أن المسيح هو ليس ابن وحش السباغيتي الطائر.

و في أستراليا باستخدام الاستطلاع السكاني في ٢٠٠٦ للفت انتباه الجمهور عن طريق تسجيل ديانتهم الرسمية كباستافاريين، مثلما فعل الجيداي في إنجلترا.

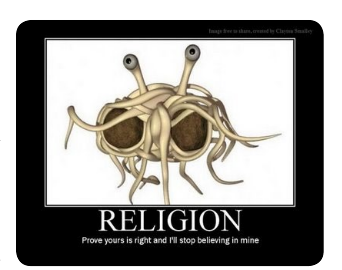




Pastafarianism

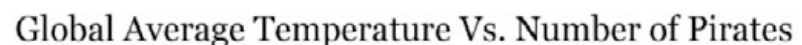
اسم الديانة «باستافارية» هو نحت من كلمة «باستا»، (إيطالية مستخدمة في الإنجليزية و معناها «المعجنات» أو المعكرونة) و ذلك على نسق كلمة «راستافارية» (بالإنجليزية: Rastafarianism).

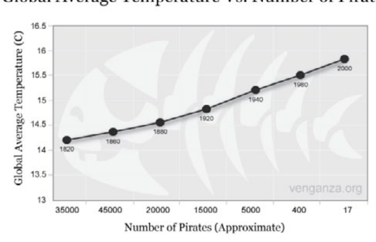
قام هندرسن بذكر الكثير من أركان الايمان في ديانته للسخرية من التصميم الذكي. هذه الأركان هي الأركان الأساسية التي ذكرها هندرسن: وحش السباغيتي الطائر هو كائن غير مرئي، لا يمكن قياسه أو الاستدلال عليه بوسائل علمية وهو الذي خلق الكون ووضع فيه الجبال والأشجار والأقزام.



وأسوة بباقي الالهة فإن وحش السباغيتي الطائر لا يمكن رؤيته أو الكلام معه الا لقلة قليلة جدا من الأشخاص الذين يبدون طاعتهم المطلقة و ايمانهم الكامل بالوحش , كما أن إختفائه عن الأنظار حكمة بالغة و ذلك كي يختبر إيمان أتباعه و ولائهم و إخلاصهم له . و يبدو أن هذا الركن يتطابق الى حد بعيد مع أركان الإيمان في العديد من الديانات الأخرى (مثل اليهودية و المسيحية و الإسلام) و هذا ما يؤكد وحدانية وحش السباغيتي الطائر , و تفرده المطلق بتسيير شؤون الكون و الأقزام .

إن الديانة الباستافاريانية تتعارض بشدة مع نظرية داروين عن النشوء و الإرتقاء فكل الأدلة التي تشير إلى التطور قام وحش السباغيتي الطائر بوضعها في الأرض. هذه الوسيلة التي يستخدمها وحش السباغيتي لاختبار إيمان الباستافاريين، فهو يجعل الأشياء تبدوا أقدم مما هي حقا. «يستطيع عالم مثلاً أن يجري فحصا كربونيا لفحص عمر قطعة أثرية وأن يجد أن ٧٥٪ من الكربون-١٤ قد تحلل إلى آزوت-١٤، والاستنتاج أن هذه القطعة الأثرية عمرها يقارب ١١،٠٠٠ عاما. ما لا يدركه العالم هو أنه كلما قاس شيئاً يقوم وحش السباغيتي الطائر بتغيير النتائج عن طريق أعضائه المعكرونية. لدينا نصوص طويلة تشرح كيف يمكن لوحش السباغيتي أن يفعل ذلك والسبب من ورائه. وحش السباغيتي الطائر غير مرئي ويمكنه أن يعبر خلال المواد العادية ببساطة.



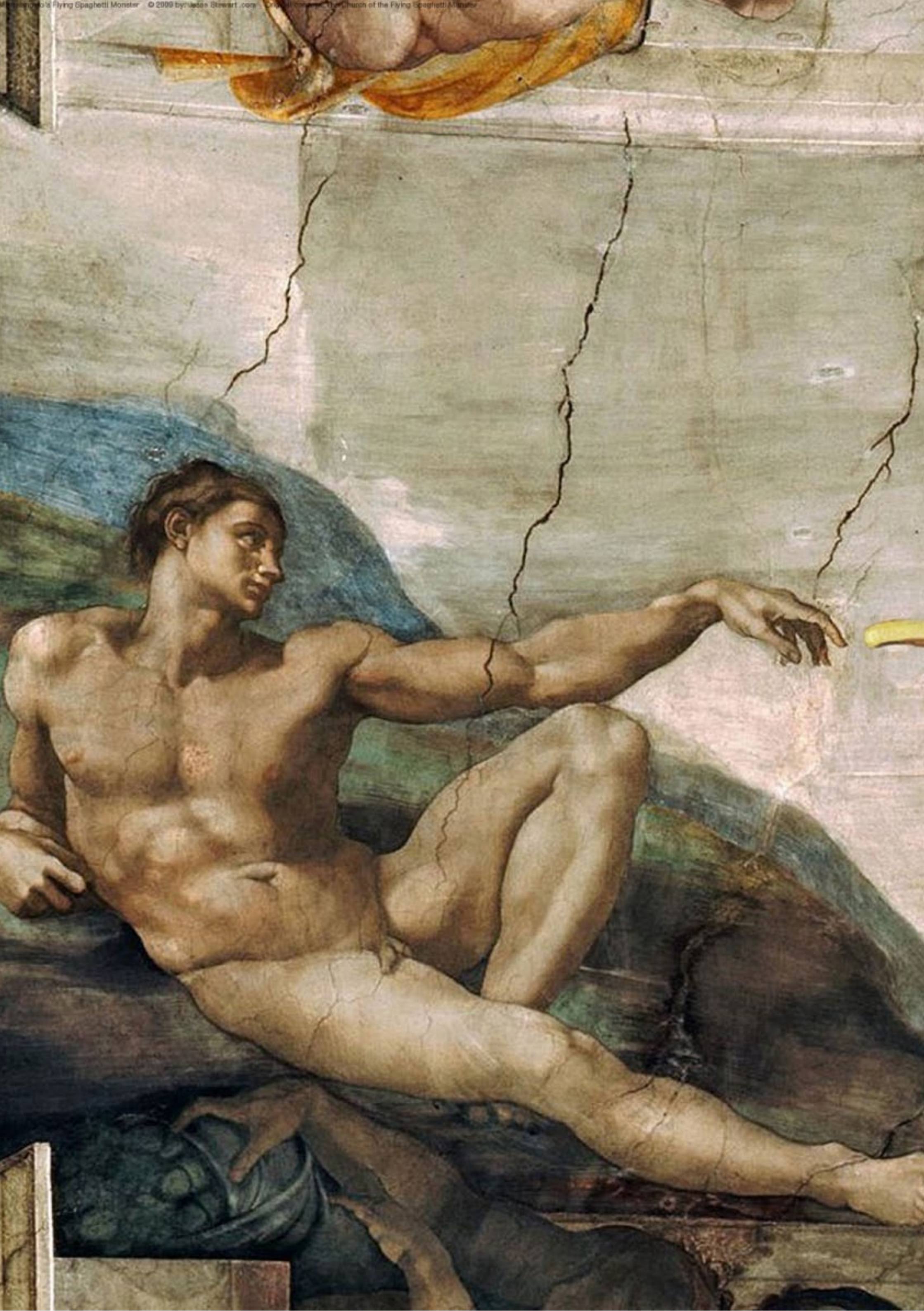


تنتهي الصلوات في الباستافارية بكلمة «رآمين» «RAmen». وهي دمج لكلمة آمين Amen (تستخدم في الإسلام اليهودية والمسيحية) وكلمة رامن Ramen وهو نوع من السباغيتي. تكتب كلمة رآمين بالانجليزية بـR وA كبيرتين ولكن الكتابة فقط بـR كبيرة مقبولة أيضاً .

في نظام الإيمان الباستافاري يُعتبَر القراصنة كائنات مقدسة، وأيضاً الباستافاريون الأوائل. النظرة السلبية التي اكتسبوها كمنوذين وسارقين هي مغالطات قام المسيحيين بنشرها في العصور الوسطى. البساتافاريون يقولون أنهم كانوا «مكتشفين مسالمين وناشرين لدين وحش السباغيتي الطائر» وأنهم كانوا يقدمون الحلوى للأطفال.

فكرة القراصنة وردت في رسالة هندرسن الأصلية إلى وزارة التعليم ليبين أن العلاقات الطردية لا تساوي السببية « او ان الأشياء التي تبدو مرتبطة عددياً قد لا يكون علاقة بينها».
كانت حجة بوبي أن «الأعاصير والبراكين وارتفاع معدل درجات الحرارة هي كلها تأثير مباشر لانخفاض عدد القراصنة منذ القرن التاسع عشر.» أرفق بوبي رسماً بيانياً مع رسالته يبين فيه أن درجة الحرارة ترتفع كلما قل عدد القراصنة. وهذا هو دليله على قدسية القراصنة وحاجتنا لهم على ضوء هذه البيانات!




Flying Spaghetti Monster © 2009 by
Stewart .com
Church of the Flying Spaghetti

اننا نسمع كثيرا من المتدينين يرددون هذه العبارة وهي ان الله عرفوه بالعقل وبالتالي فان المتدينين للأسف دائما يعتقدون انه من الانسب ان يسألوا الملحدين عن اسباب عدم ايمانهم بأي إله مع انني ارى ان يستمعوا للملحدين علهم يتعلمون شيئا. ففي الحقيقة اعتقد انني اليوم بحاجه الى ان اعلم المتدينين بالأسباب الحقيقة التي تجعلهم يؤمنون بالآلهة والتي ابعد ما تكون عن الله يعرفوه بالعقل:



١- تلقين الدين منذ الصغر: هل من سبيل المصادفة ان الناس تميل الى البقاء في الدين الذي تربت عليه ؟ لو ان الناس فعلا مقتنعة بمنطق رجال الدين اليس من المنطق اذا ان تتوزع الاديان بشكل متساوي حول العالم بدلا من ان يكون كل دين متحكم في بقعه جغرافية ما ؟ ان تركيز الدين في مكان ما يدل عن البشر في هذا المكان امنت به لأنهم فقط تربوا عليه كما ان الدين يتجلى في كل شيء حولهم، للأسف ان الاطفال يكتسبون الدين من قبل ان يتلقوا مهارات التفكير النقدي كما ان الدين يتم تجميله وترقيته في اذهانهم بدون ان يلاحظ الكثيرون. ان هذا سبب كافي لكي تؤمن باله هذا الدين اليس كذلك ؟



٢- تلقين الكراهية ضد الملحدين: انهم يلقنونا منذ كنا صغارا ان الناس التي لا تؤمن بالله هم اشرار وغير اخلاقيين وهم تهديد لنظام المجتمع المستقر وبالتالي فان هذا يجعلك لاإراديا ترفض التفكير في التخلي عن دينك. فمن ذا الذي يريد ان يكون لا اخلاقيا او ينظر اليه الناس على انه لا أخلاقي ان هذا بالضبط ما يواجهه الملحد في خاصة في الدول المتدينة وبالتالي فان سبب تمسك الناس بدينهم هو خوفهم من نظرة باقي المجتمع. فالأطفال يتربون من الصغر ان الدولة تقوم على الدين.

٣- ضغط الاصدقاء والعائلة: ان الدين من الممكن ان يكون مهما جدا للعائلات والمجتمعات وبالتالي فانه يخلق ضغطا ليتماشى الجميع مع متطلبات الدين. ان الناس الذين يحاولون الخروج خارج دائرة الدين لا يتم اعتبارهم على انهم يختارون اسلوبا اخر في الحياة ولكن ينظر اليهم على انهم يهدمون اهم رابط يربط الأسره والمجتمع! مع ان هذه الأسره او المجتمع ربما يكون مفككا اصلا! ان الناس يتم تلقينهم ان بعض الافكار والطقوس هي حيوية للروابط الاجتماعية ولذا لا يجب ان تخضع للسؤال او النقاش. ان دور ضغط الاسرة والأصدقاء يحافظ على الاقل على قشور الدين وهذا شيء لا يمكننا انكاره.

٤- الخوف من الموت: ان المتدينين يحاولون اقناع الملحدين للإيمان بالله بتخويفهم مما سيحدث بعد الموت مثل ذهابهم الى النار! وهذا يكشف لنا شيئا مهما ان المتدينين يؤمنون ليس

لان هناك اسباب جيده تثبت ان هناك حياة بعد الموت وإنما هو مجرد تفكير عاطفي لأنهم لا يريدون ان يفكروا ان الموت هو نهاية الجسد والأفكار والتجارب والعواطف وبالتالي هم يصرون على الاعتقاد انهم سيظلون موجودين بعد الموت ولو حتى على شكل روح او جسد جديد.



انا لست خائفا من الموت يا دكتور، انا فقط لا اريد ان ارى الثعبان الاقرع هناك !!

٥- **التفكير الحالم:** ونقصد بها ان الانسان يعتقد بما يتمنى ان يحدث بدون حتى ادله مقنعه او منطق مثل ان الكثير من المتدينين يحلمون بالنار التي سيشوى فيها الكفار الذين كانوا ينغصون عليهم اقامة الدولة الاسلامية او المسيحية

٦- **الخوف من الحرية والمسئولية:** ان الاعتقادات الدينية تجنبهم المسئولية عن كثير من الاحداث. فهم ليسوا بحاجه الى التأكد من تطبيق العدالة بالشكل الكافي طالما ان شريعة الله في نظرهم هي العدل. يرون ان مشاكل البيئة والطبيعة من صنع الله وليس لهم دخل فيها. يرون انه لا داعي للتفكير في الاخلاق ووضع معايير جديدة لها اكثر منطقية لان الله قد انزل علينا ذلك! يرون انه لا داعي لكي يبرروا مواقفهم لان الله هو من شرع ذلك. ان المتدينين ينكرون الحرية لان الحرية تعني المسئولية والمسئولية تعني انه لو اخطانا فليس هناك من سيساعدنا.

٧- **نقص المهارات الاساسية للتفكير المنطقي:** ان الكثير من الناس لا تتعلم كيفية المنطق ولا التفكير او حتى بناء الحجج كما ينبغي. بل ان جودة الحجج التي يقدمها المتدينون كتبرير لتدينهم تلفت نظرنا بسبب مدى وحشيتها في بعض الاحيان. انهم للأسف يستثمرون الكثير من الجهد لبناء مسوغات «داير ما يدور» ويبحثون عن اي شيء يبدوا مقنعا من بعيد.

يقول ابو العلاء المعري:

وينشأ ناشئ الفتيان منا -- على ما كان عوّده أبوه

وما دام الفتى بحجى ولكن -- يـعلمه التدين أقربوه

بن باز

اللاسلطوية: ما هي، وما ليس منها

هناك مفاهيم رائجة مغلوطة حول اللاسلطوية، بسببها يرفض العديد من الناس اللاسلطوية واللاسلطويين جملةً وتفصيلاً.

تكثر هذه المفاهيم في وسائل الإعلام حيث يستخدم مصطلح «الأناركية» Anarchy عامةً كمرادف للفوضى، وحيثما يشار إلى اللاسلطويين كإرهابيين بغض النظر عن اعتقاداتهم السياسية وانتماءاتهم. وكذلك عندما تذكر اللاسلطوية، فإنها دائمًا ما تقدم على أنها مجرد نموذج أحمق لتمرد الشباب، بالطبع، هذه المفاهيم الخاطئة أيضًا تنتشر على نطاق واسع بين عموم الجماهير، مما يسمح لوسائل الإعلام عامة أن تمرر ما يحلو من أفكارها.

الأسوأ من ذلك، أن بعض من يطلقون على أنفسهم «لاسلطويين» لا يعرفون معنى هذا المصطلح، وهؤلاء يندرجون تحت فئتين بشكلٍ عام. الفئة الأولى، والتي أشار إليها اللاسلطوي الإيطالي الكبير لويجي فابري منذ ما يقرب من قرن في مؤلفه «التأثيرات البرجوازية على اللاسلطوية»، تتألف من أولئك الذين ينجذبون إلى الأكاذيب الإعلامية. هؤلاء ببساطة يبحثون عن تسمية لامعة لسلوكهم الأناني والمعادي للمجتمع، الخبر السار في هذا الأمر أن أغلبهم ينضج في النهاية ويتخلى عما يعتبرونه «لاسلطوية»، لكن الخبر السئ أنه حيثما يظهرون فإنهم يميلون إلى إعطاء اللاسلطوية سمعة سيئة للغاية، ومثلما وصفهم لويجي فابري
«هؤلاء الأشخاص لا يتمردون بسبب اللامعقولية، بل على النقيض، لأنهم مرتبطون بها. إنهم منجذبون إلى المهمات والأفكار تحديدًا لكونهم غير عقلانيين. وهكذا تصبح اللاسلطوية معروفة بأنها صفة غير منطقية ومضحكة بفعل ما ينسبه الجهل والافتراءات البرجوازية إلى التيارات اللاسلطوية.[١]»

الفئة الأخرى تتكون من أولئك الذين يساوون بين اللاسلطوية وبعض الأيديولوجيات الأليفة التي لا تتعلق باللاسلطوية من الأساس. في العصر الحديث، كانت البدائية والأنانية اللا أخلاقية أبرز هذه المعتقدات المساء تعريفها. مرة أخرى، فإن خلط مثل هذه المعتقدات باللاسلطوية ينزع إلى إعطاءها سمعة سيئة بسبب لا معقولية الاعتقاد بالبدائية من ناحية، والطبيعة المعادية للمجتمع الظاهرة في الأنانية اللا أخلاقية من ناحية أخرى.

كي نحدد ذلك بطريقة أخرى، الخلط بين اللاسلطوية والفوضى والتمرد الطائش والأفكار اللاعقلانية مثل البدائية والسلوكيات المعادية للمجتمع مثل الأنانية اللا أخلاقية، له ثلاثة آثار أساسية مرفوضة:
١. تتيح للناس رفض اللاسلطوية واللاسلطويين بسهولة.
٢. تجعل من عملية شرح اللاسلطوية لهم أكثر صعوبة، لأنهم يعتقدون أنهم يعرفون ماهيتها وبالتالي يرفضونها.
٣. تجذب عددًا ممن أطلق عليهم فابري «أشخاص تافهون وعابثون»، وأحيانًا أشخاص سيكوباتيين بالكامل، الذين تفضي أفعالهم وكلماتهم إلى تشويه سمعة اللاسلطوية أكثر.

من أجل ذلك، إذا ذهبنا إلى أي مكان، فعلينا أن نوضح ما هي اللاسلطوية وما ليس منها. أولاً، هيّا نعالج المفاهيم المغلوطة.

ما ليس من اللاسلطوية:

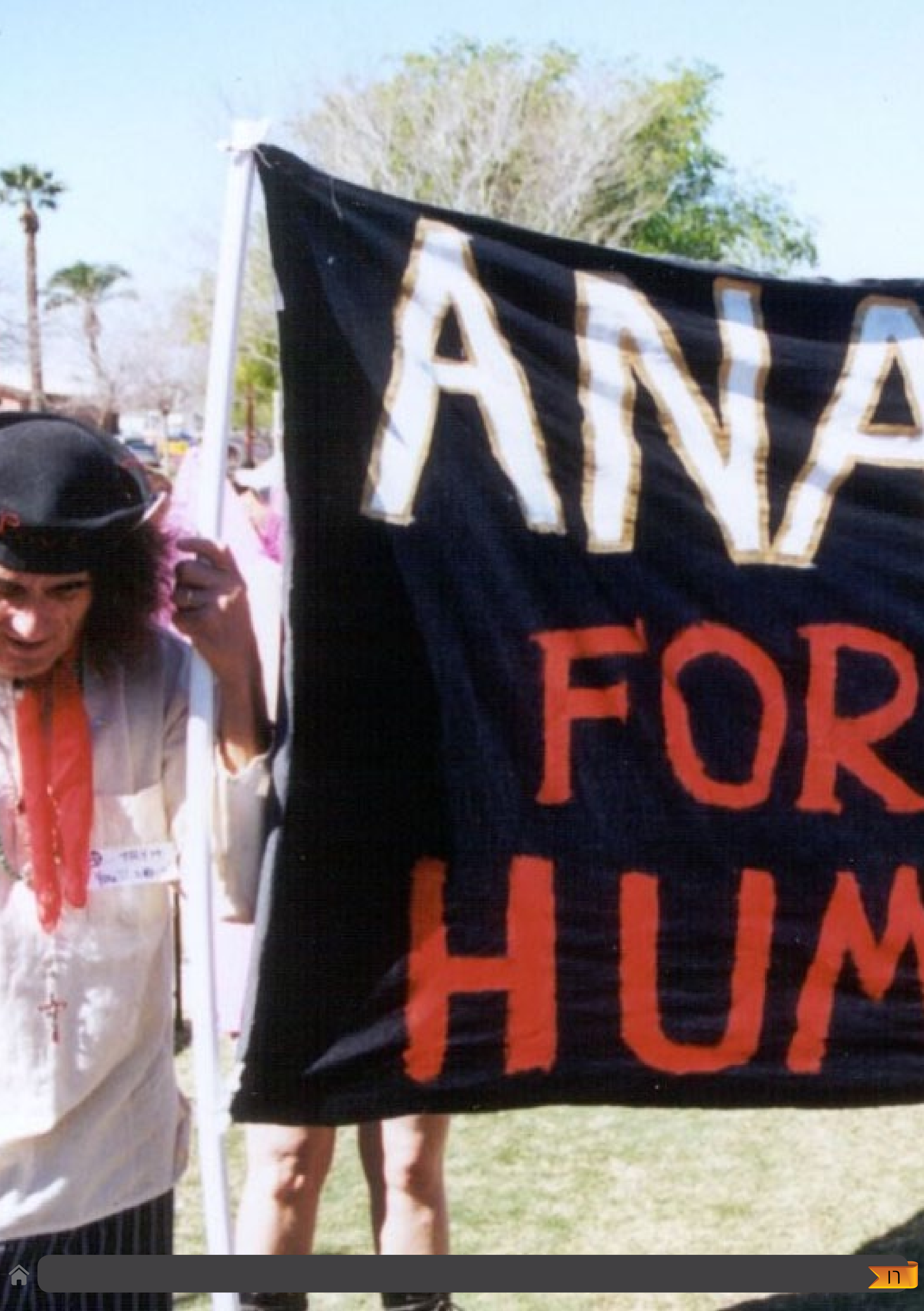
اللاسلطوية ليست إرهابًا: الأغلبية الساحقة من اللاسلطويين دائمًا ما يرفضون الإرهاب، لأنهم أذكياء بما يكفي حتى يدركوا أن هذا يعني نهايتهم، وأن الإرهاب بطبيعته عمل زعامي، وأنه حتى عندما تكون ناجحًا، فإنه في الغالب ما يؤدي إلى نتائج سيئة. ولقد صاغ المؤلفون المجهولون لكتاب «أنتَ لا تستطيع نسف علاقة إجتماعية: قضية اللاسلطوية مقابل الإرهاب» المسألة كالتالي:

«إنك لا تستطيع أن تنسف علاقة إجتماعية. الانهيار الكامل لهذا المجتمع لن يقدم أية ضمانات عما سوف يحل محله. إلا إذا كانت غالبية الناس لديهم أفكارًا وتنظيمًا كافيًا لخلق مجتمع بديل، سنرى العالم القديم يعيد تثبيت نفسه، لأن هذا ما اعتاد الناس عليه، وما آمنوا به، وما بقى دون منازع في شخصياتهم.
يجب معارضة دعاة الإرهاب وحرب العصابات لأن أعمالهم قيادية سلطوية، لأن أفكارهم، بقدر ما هي مهمة، خاطئة أو غير مرتبطة بنتائج أفعالهم -خصوصًا عندما يطلقون على أنفسهم تحرريين ولاسلطويين-، ولأنه لا يمكن تبرير مذابحهم، وأخيرًا لأن أفعالهم أما تنتج قمع دون مقابل أو نظامًا سلطويًا.[٢]»

افتراءات الحكومات والشركات الممتدة لعقود لا يمكن أن تغير هذه الحقيقة، أن الأغلبية الساحقة من اللاسلطويين يرفضون الإرهاب لأسباب عملية وأخلاقية. في أواخر التسعينيات، أطلقت مجلة «تايم» على تيد كاتشينسكي لقب «ملك اللاسلطويين»، لكن هذا لا يجعله كذلك. ألقاب «تايم» ليست سوى محاولة تقليدية، وربما مضللة عمدًا، لتلطيخ اللاسلطويين بفرشاة الإرهاب.

لكن هذا لا يعني أن المقاومة المسلحة غير صالحة. من الواضح أن هناك مواقف تكررت كثيرًا في قرون عديدة، يملك فيها الفرد خيارات قليلة، كما هو الحال عندما يواجه ديكاتورية تقمع الحريات المدنية وتمنع الفرد من العمل علانيةً. وحتى في مثل ذلك، ينبغي أن تقوم المقاومة المسلحة على مضض وكملجأ أخير، لأن العنف غير مرغوب فيه بالفطرة بسبب المعاناة الناتجة من دوافعه، ولأنها توفر للأنظمة القمعية مبررات لقمع أكبر، ولأنها توفر لهم فرصة لإرتكاب أعمال وحشية ضد المدنيين ثم تلقي باللوم على معارضيها الإرهابيين، ولأن فرص نجاحها ضئيلة للغاية كما أوضح لنا التاريخ.


RCHY!
A FREE
ANITY


ANA
FOR
HUM

وعلى الرغم من أن المقاومة المسلحة أحيانًا تطلب في الأوضاع القمعية، فإن الرضوخ لرومانسية البندقية والمشاركة في حرب عصابات في المناطق الحضرية في المجتمعات المنفتحة نسبيًا التي تؤمّن الحريات المدنية إلى حدٍ كبير ولا يوجد فيها دعم شعبي واسع لبدء عملية عنيفة مسألة مختلفة تمامًا. العنف في هذه المواقف يساعد قليلاً لكنه يدفع الجماهير إلى أحضان الحكومة الأمنية، والحوار السياسي الضيق الذي يميل إلى استقطاب الناس بين مؤيد ومعارض لحرب العصابات يحوّل السياسة إلى لعبة رياضية يشاهدها الأغلبية الواسعة من الناس[٣]، ويسوّغ للحكومة مبررات لقمع الحريات المدنية، وتحث على ظهور أنظمة قمعية أفضل تقدر على التعامل مع مشكلة «الإرهابي» بصورة أكثر تسامحًا من سابقيهم. ومن الجدير أيضًا بالذكر أن احتمالات نجاح مثل هذا العمليات القيادية العنيفة ضئيلة للغاية، إنها طريقة سقيمة ومتعجرفة تؤدي إلى الدمار[٤].

اللاسلطوية ليست مذهبًا للعودة للبدائية: في العقود الأخيرة، ساوت جماعات صوفية شبه دينية بين اللاسلطوية ومذهب العودة للبدائية الذي يؤيدون أفكاره مثل رفض العلم والعقلانية والتكنولوجيا.[٥] لكن في الواقع لا يوجد أي ارتباط بين الإثنين، فكما سنرى فإننا في الحقيقة نعتبر اللاسلطوية مجموعة من المبادئ الفلسفية الأخلاقية والقواعد المنظمة التي أعدت من أجل تعظيم الحرية الإنسانية. في الوقت الحالي، يكفي أن نقول أن دعوة التخلص من التكنولوجيا التي تروجها الجماعات البدائية تتضمن حتمًا وفاة ملايين البشر في هذا العالم ممن يعتمدون إعتمادًا كليًا على التقنيات المتشابكة في كل شئ، من صناعة وتوصيل الطعام إلى الإتصال والعلاج الطبي. إن نتيجة التخلص من التكنولوجيا المرغوبة بشدة يمكن أن تتحقق فقط بإستخدام وسائل الإكراه والعنف على نطاق واسع، المضادة لمبادئ اللاسلطوية بشكل مطلق، كما أنه من غير المعقول أن يتخلى أغلب البشر طوعًا عن مثل هذه الأشياء، مثل شبكات المياه والصرف الصحي، والطب الحديث، والأضواء الكهربائية، والمنازل الدافئة في الشتاء[٦].

اللاسلطوية ليست فوضوية، ولا ترفض التنظيم: وهذه أكذوبة شهيرة يكررها الإعلام وخصوم اللاسلطوية السياسيين، خصوصًا الماركسيين، تكرارًا مملاً. لكن نظرة وجيزة إلى أعمال رواد المنظرين في اللاسلطوية تؤكد خطأ هذا الإعتقاد. لن يجد أحد رفضًا للتنظيم في كل كتابات برودون، وباكونين، كروبوتكين، روكر، وارد، بوكتشين.. إلخ، وإنما اهتمامًا خاصًا حولها، حول كيف ينبغي تنظيم المجتمع وفقًا للمبادئ اللاسلطوية في الحرية الفردية والعدالة الإجتماعية. لقرن ونصف الآن، يجادل اللاسلطويون في أن ذاك التنظيم الهرمي القهري، كما هو مجسد في الشركات والحكومات، لا يعادل المنظمة التي يعتبرونها ضرورية، وأن هذا التنظيم القمعي يجب أن يستبدل بتنظيم قاعدي لا مركزي قائم على التعاون التطوعي والمساعدة المتبادلة، ذلك بالكاد يعتبر رفضًا للتنظيم.

اللاسلطوية ليست أنانية لا أخلاقية: كما يحدث في أي حركة إجتماعية طليعية، تجذب اللاسلطوية غريبي

الأطوار، الطفيليين، والسيكوباتيين كليًا، والأشخاص الذين يبحثون عن تعريف لامع يغطون به أنانيتهم المرضية وتجاهلهم لحقوق وكرامة الآخرين ورغبتهم البائسة في أن يصبحوا مركزًا للكون. هؤلاء الأفراد يميلون لإعطاء اللاسلطوية سمعة سيئة، لأنه رغم ما لديهم من قواسم مشتركة مع اللاسلطويين الحقيقيين الذين يهتمون بالتصرف الأخلاقي والعدالة الإجتماعية وحقوقهم والآخرين، لكنهم استعراضيون في أغلب الأحيان، وأعمالهم المشينة تقع أحيانًا تحت أعين الجمهور. ومما يزيد الأمر سوءًا، فإن هؤلاء الإستعراضيين ينشرون آراءهم المغرورة ثم تعرف خطأً عن عمد أنها آراء «لاسلطوية». ومثال على ذلك، فإن ناشر مجلة «اللاسلطوي» الأمريكية الزائفة نشر مؤخرًا كتابًا ألفه شخص متبجح يهجم فيه اللاسلطويين الحقيقيين، عالمًا كل العلم أن ذلك المؤلف اللاسلطوي مخبر سئ السمعة لشرطة مكافحة المخدرات له عدد من المواقف أبلغ فيها عن خصومه في المؤسسات الحكومية. تصرفات هذا المخبر الذي يحاول إخفاءها متسقة تمامًا مع أنانيته اللا-أخلاقية، لكنها ليست لها أدنى علاقة باللاسلطوية الحقيقية. هؤلاء الأنانيون عديمي الأخلاق يسيئون استخدام التسمية، إنهم ليسوا لاسلطويين مثلما لم تكن جمهورية ألمانيا الديموقراطية السابقة «ألمانيا الشرقية» جمهورية أو ديموقراطية.

السخف الشديد في الخلط بين اللاسلطوية والأنانية اللا-أخلاقية، تحديدًا فكرة «سأفعل ما يعجبني واللعنة على الآخرين»- سيصبح واضحًا في فترة قصيرة عندما ندرس ماهية اللاسلطوية الحقيقية.

اللاسلطوية ليست هي الليبرتارية: حتى وقت قريب نسبيًا، كان مصطلح «تحرري» يستخدم عالميًا كمرادف للاسلطوية. في الواقع أنه كان يستخدم حصريًا لهذا المعنى حتى سبعينيات القرن الماضي في الولايات المتحدة عندما صادرها ما يسمى خطأً بالحزب الليبرتاري.

هذا الحزب ليس له أي علاقة بمفاهيم اللاسلطوية حول الحرية، خصوصًا مفهومي الحرية العادلة والحرية الإيجابية التي تدخل إلى الموارد الضرورية إلى حرية الممارسة والفعل. (وتناقش الحرية العادلة والحرية الإيجابية في الجزء التالي من هذا الكتيب). لكن بدلاً من ذلك، يهتم الحزب الليبرتاري بالحريات السلبية فقط، متظاهرًا أن الحرية توجد فقد بالمعنى السلبي، بينما ترتج في نفس الوقت في إنكارها للحرية الإيجابية المساوية للأغلبية العظمى حول العالم.

هؤلاء الليبرتاريون لا يمجدون الرأسمالية فقط، الآلة التي تنكر كلا من الحرية العادلة والإيجابية لأغلب الناس، بل يرغبون في الحفاظ على أجهزة الدولة القمعية بينما يقضون على وظائف الرعاية الإجتماعية ومن ثم اتساع الهوة بين الفقراء والأغنياء وإعلاء حرية الأغنياء بتهميش الفقراء عن طريق وضع أحذية الدولة فوق رقابهم بقوة. وهكذا تم اختطاف مصطلح «التحررية» من قبل الأنانيين الذين هم في الواقع أعداء الحرية بما تعنيه الكلمة، والذين يشتركون مع اللاسلطوية في جوانب قليلة جدًا.

كل ذلك ليس من اللاسلطوية.

ماهي اللاسلطوية:

بالمعنى الضيق، اللاسلطوية ببساطة هي رفض الدولة ورفض الحكومة القمعية، تحت هذا التعريف الضيق بشدة، يمكن أن تظهر سخافات مثل «اللاسلطوية الرأسمالية» أو اللاسلطوية الدينية[٧].

ولكن أغلب اللاسلطويين يستخدمون مصطلح اللاسلطوية بصورة أوسع كثيرًا، فيعرفونها كرفض لكل أشكال القهر والسيطرة. وهكذا، لا يرفض أغلب اللاسلطويين الحكومة القمعية فقط، بل أيضًا يرفضون الأديان والرأسمالية، والذين يعتبرونهم أشكال أخرى من توأم القمع والهيمنة الشريرين. إنهم يرفضون الدين لأنهم يرون فيها النموذج المثالي للهيمنة والذي يقضي فيه إله كلّي القدرة على من أطاعه ومن لم يطعه حسب جماعته. وهم يرفضون الرأسمالية كذلك لأنها مصممة لإنتاج أغنياء وفقراء ولأنها مصممة لإنتاج نظام من الهيمنة يعطي فيه بعض الناس الأوامر ولا يملك الآخرين سوى طاعتهم. ولأسباب مماثلة يرفض أغلب اللاسلطويين على مستوى شخصي التمييز على أساس الجنس أو اللون أو العرق أو الميل الجنسي الذي يتسبب في ظهور تفاوت مصطنع وبالتالي ظهور الهيمنة.

ولعرض ذلك بطريقة أخرى، يؤمن اللاسلطويون بكل الحريات السلبية منها والإيجابية. في هذا البلد، تقدم الحرية عادةً بالمعنى السلبي فقط في أن تصبح حرًا من التقييد. ومن هنا يساوي أغلب الناس بين الحرية بأشياء من قبيل حرية التعبير وحرية الإجتماع وحرية العقيدة، ولكن هناك أيضًا جانبًا إيجابيًا من الحرية الذي يصر عليه اللاسلطويون وحدهم تقريبًا[٨].

هذا الجانب الإيجابي من الحرية هو ما أطلقت عليه إيما جولدمان «حرية الفعل والممارسة»، وهذه الحرية تعتمد بشدة على النفاذ إلى موارد العالم كي نتمتع بها أو نستخدمها. وبسبب هذا يصبح الأغنياء هم الأكثر حرية وفقًا لهذا المعنى من بقيتنا. كمثال على ذلك في مجال حرية التعبير، يمكن لدونالد ترامب أن يشتري عددًا من الجرائد والمحطات تلفزيونية كي تروج لآرائه وتؤثر على الرأي العام، لكن كم من العمال يستطيعون القيام بنفس الشئ؟ كم عامل يستطيع تحمل تكاليف شراء جريدة يومية واحدة أو محطة تلفزيونية واحدة؟ الإجابة واضحة. العمال لا يستطيعون القيام بذلك، ولكن بدلاً من ذلك، لقد خفضنا إنتاجنا إلى مجلات يقرأها بضع مئات الأشخاص أو نشر صفحات على الإنترنت في أوقات فراغنا القليلة نسبيًا.

تذخر الحياة اليومية بأمثلة على الحرية العظمى للأغنياء، ونضعها في عبارات عامة، لأنهم ليسوا بحاجة إلى

العمل. فالغني ليس يملك الكثير من الأموال فقط، والتي هي مفتاح الحصول على الموارد، ولكن لديه الوقت للسعي وراء اهتماماته ولذاته ورغباته أكثر من بقيتنا. نستشهد بمثال ملموس مثل أن الأغنياء يستطيعون إرسال أبناءهم إلى أفضل الكليات التي توظف أفضل المعلمين، والتي لا يستطيع بقيتنا أن يتحمل تكاليفها، وحتى إذا استطعنا تحمل تكاليفها، فسنعمل كعمال مأجورين في الكليات الأهلية والحكومية «مساعد أستاذ» وطلاب دراسات عليا يعملون فوق طاقاتهم ولا يتقاضون مصروفات كافية. أبناء الأغنياء أحرار تمامًا لمتابعة دراساتهم في الكلية، بينما يجب على باقي الطلاب العمل بدوام جزئي كي يعولوا أنفسهم مما يحرمهم من ساعات يستطيعون تخصيصها للدراسة. إذا فكرت فيها، ستجد بسهولة أمثلة إضافية على حرية الأغنياء العظمى في نطاق الرعاية الصحية والسكن والتعذية والسفر... إلخ. في كل نطاقات الحياة تقريبًا.

الحرية العظمى للأغنياء تأتي على حساب الآخرين من خلال خفض حريتهم في الفعل. ولا يوجد وسيلة للتغلب على ذلك نظرًا إلى أن حرية الفعل محددة إلى حد كبير بالحصول على موارد محدودة. أناتول فرانس فسر الإختلافات بين القيود المفروضة على الأغنياء والفقراء جيدًا عندما كتب قائلاً، «إن القانون بمساواته العظيمة يمنع الغني كما يمنع الفقير من النوم تحت الجسور والتسول في الشوارع وسرقة الخبز!».

ولأن الهدف الرئيسي للاسلطوية هي إتاحة أكبر قدر ممكن من الحرية للجميع، يصر اللاسلطويون على الحرية العادلة بجانبيها السلبي والإيجابي، والتي تعني بمعناها السلبي أن الأشخاص أحرار في أن يفعلوا ما يريدون ما لم يضروا أو يتقحموا الآخرين مباشرة، وبمعناها الإيجابي أن كل الأشخاص أحرار متساوين في الفعل والممارسة وأنهم يملكون فرص متساوية في الحصول على موارد العالم.

يعترف اللاسلطويون أن الحرية المطلقة مستحيلة، لأن الأنانية اللا-أخلاقية التي تتجاهل حقوق الآخرين ستتحول سريعًا إلى حرب الجميع ضد الجميع. ما نزعمه أن كل إنسان يملك حريته العادلة من القيد (محددة بإحترام حقوق الآخرين فقط) وأن كل إنسان يملك تقريبًا فرصًا متساوية في الحصول على الموارد، وبالتالي يضمن مساواة أو شبه مساواة في حرية الفعل والممارسة. هذه هي اللاسلطوية بمعناها النظري.

كانت هناك محاولات جادة في أسبانيا وكوبا وقلة من بلاد أخرى لجعل هذه النظرية واقعًا من خلال حركة تعرف باسم اللاسلطوية النقابية (السنديكالية)، والهدف الرئيسي للاسلطوية النقابية هو استبدال الحكومة القمعية بالتعاون الطوعي بين نقابات يتحكم فيها عمالها تنسق إدارة الإقتصاد بأكمله. وهذا ليس من شأنه ليس فك القيد الحكومي على الحرية السلبية فقط، وإنما ستصبح قفزة هائلة نحو الوصول إلى الحرية الإيجابية، كانت الثورة الأسبانية (١٩٣٦ - ١٩٣٩) هي أقرب ما تحقق من هذه الرؤية، عندما أصبحت مناطق واسعة من أسبانيا، خصوصًا مناطق الصناعات الثقيلة، تحت سيطرة «اتحاد العمل الوطني» CNT النقابي اللاسلطوي. ويصف جورج أورويل هذا الإنجاز في «الحنين إلى كاتالونيا» قائلاً :

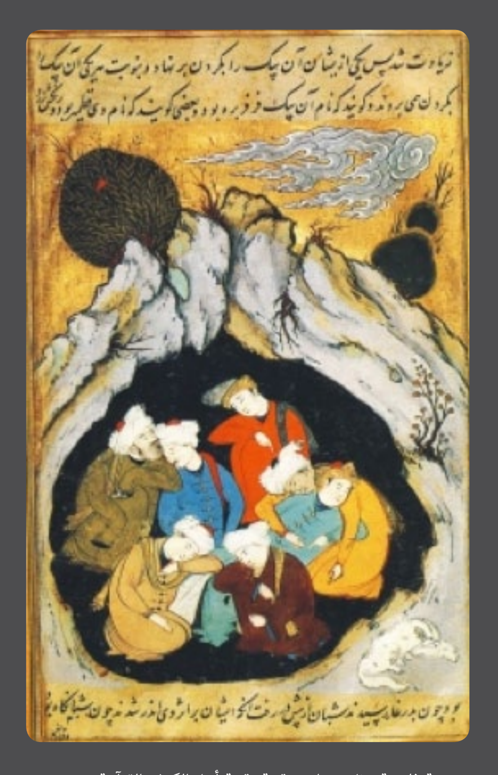
«كان للاسلطويين السيطرة الفعلية على كاتالونيا وكانت الثورة في أوجها.. وكان منظر برشلونة مذهلًا ومثير للإعجاب، كانت تلك المرة الأولى التي أصبح فيها بمدينة تسيطر عليها الطبقة العاملة، وكان العمال يستولون على كل البنايات من جميع الأحجام ويكسوها بالأعلام الحمراء أو الأعلام اللاسلطوية السوداء / الحمراء.. جميع المحلات والمقاهى وضعت نقوشًا أنها أصبحت أملاكًا جماعية، حتى ماسحو الأحذية أصبحوا جماعيين ودهنوا صناديقهم بالأسود والأحمر، النادلون وصبية الدكاكين ينظرون إلى وجهك ويتعاملون معك على قدم المساواة، حتى أساليب الحديث الرسمية والمستكينة قد اختفت... كانت الملصقات الثورية في كل مكان، تتوهج على الجدران بحمرة وزرقة واضحة جعلت من الإعلانات القليلة المتبقية مثل لطخات من الطين... كان ذلك كله غريب ومثير للشعور. هناك أشياء لم أستطع فهمها. وفي بعض الأحيان لم تعجبني. لكنني أعترف على فور أنها حالة تستحق النضال من أجلها.»

هذه هي اللاسلطوية، وكان أورويل محقًا، هي تستحق النضال من أجلها.

ترجمة : حسين الحاج


LIBERTAD!
F.A.I.
Fontseré
DEL S.D.P.

الرواية القرآنية :



منمنمة فارسية تمثل جزءا من قصة قصة أهل الكهف القرآنية

تتحدّث هذه القصة القرآنية عن عدد من الشباب المؤمن فرّوا من الاضطهاد الدينيّ ورفضوا عبادة الأوثان التي فرضها عليهم الملك، فلجؤوا إلى كهف في جبل خارج المدينة. وهناك ألقى الله عليهم سباتاً فناموا لمدة تزيد عن الثلاثمائة سنة. وعندما انجلت الغمّة بعثهم الله من نومهم وأراد إطلاع الناس على حقيقة ما جرى لهم، ليؤمنوا بأنّ وعد الله حقّ، وأنّه قادر على إحياء الموتى مثلما أحيى هؤلاء الفتية .

أمّا عن مناسبة نزول الوحي بهذه القصّة، فيقول ابن كثير إنّ بعضاً من أهل الكتاب سألوا النبيّ عن خبر أصحاب الكهف، فقال لهم « غداً أجيبكم »، ولم يُتبع قوله هذا بقوله « إن شاء الله ». ولكنّ الوحي تأخّر عليه خمسة عشر يوماً. وعندما جاء الوحي بالقصّة أراد تعالى تذكير رسوله بنسيانه هذا، ولذلك قال في آخرها: «ولا تقولنّ لشيء إنّي فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله، واذكر ربّك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربّي لأقرب من هذا رشداً .» والقصّة مذكورة فقط في سورة الكهف، ولا توجد إشارة إليها في أي موضع آخر. وهذا نصّها الكامل:

« أم حسبت أنّ الكهف والرقيم (١) كانوا من آياتنا عجباً (٢)، إذ آوى الفتية إلى الكهف فقالوا: ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيّئ لنا من أمرنا رشداً. فضربنا على آذانهم (٣) في الكهف سنين عدداً (٤)، ثم بعثناهم لنعلم أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً (٥). نحن نقصّ عليك نبأهم بالحقّ. إنهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدى، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا: ربّنا ربّ السماوات والأرض ولن ندعو من دونه إلهاً، لقد قلنا إذا شططاً (٦). هؤلاء قومنا اتّخذوا من دونه آلهة، لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن (٧)، فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً.

وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله، فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربّكم من رحمته ويهيّئ لكم من أمركم مرفقاً (٨. وترى الشمس إذا طلعت تزّاوَر (٩) عن كهفهم ذات اليمين، وإذا غربت تقرضهم (١٠) ذات الشمال، وهم في فجوة منه. ذلك من آيات الله، من يهدِ الله فهو المهتدِي ومن يُضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً. وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلّبهم

ذات اليمين وذات الشمال، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد. لو اطّلعت عليهم لولّيت منهم فراراً و لملئت منهم رعباً.

"وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم. قال قائل منهم: كم لبثتم؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم. قالوا: ربّكم أعلم بما لبثتم، فابعثوا أحدكم بوَرَقكم (١١) هذه إلى المدينة فلينظر أيُّها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه، وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً. إنهم إن يظهروا عليكم (١٢) يرجموكم أو يعيدوكم في ملّتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً. وكذلك أعثرنا عليهم (١٣) ليعلموا أنّ وعد الله حقّ وأنّ الساعة لا ريب فيها. إذ يتنازعون بينهم أمرهم (١٤) فقالوا: ابنوا عليهم بنياناً ربّهم أعلم بهم. قال الذين غَلبوا على أمرهم: لنتخذن عليهم مسجداً .

« سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجـماً بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم. قل ربّي أعلم بعدتهم (١٥)، ما يَعلمهم إلا قليل. فلا تُمارِ (١٦) فيهم إلا مراءً ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً. ولا تقولنّ لشيء إني فاعل ذلك غداً، إلا أن يشاء الله. واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدينِي ربي لأقرب من هذا رشداً. ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً. قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السماوات والأرض، أبصر به وأسمِع، ما لهم من دونه ولي ولا يشرك في حكمه أحداً . » (١٨ الكهف : ٩-٢٦).

لا يوجد في كتاب العهد القديم أو في كتاب العهد الجديد خـبرٌ عن أصحاب الكهف. فهذه قصة مسيحية متأخّرة جرى تداولها في العصر الذي صارت فيه المسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية، بعد تحوّل الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧م) إلى الدين المسيحي. وأوّل نصّ مدوّن لهذه القصّة هو نصّ سريانيّ يعود بتأريخه إلى أواخر القرن الخامس الميلادي. ويبدو أنه قد اعتمد مرويات شفهية متدالة أكثر قدماً. وهذا ملخّص وافٍ له (١٧)



أهل الكهف أو «نوام إفسس» في التراث المسيحي

في جولة له خارج عاصمته جاء الإمبراطور ديكيوس إلى إفسوس وفي مدينة عريقة في آسيا الصغرى، ووصلته أخبار انتشار المسيحية فيها. فحاول التضييق على المسيحيين وأمرهم جميعاً بتقديم القرابين إلى الآلهة الرومانية، فرضخ فريق منهم وفعل ذلك تحت التهديد، ورفض فريق قليل آخر مفضلاً الألم والعذاب على ترك المعتقد.

ومن هؤلاء سبعة فتية (وبعض الروايات تقول ثمانية)

قُدمت أسماؤهم إلى الإمبراطور ليتّخذ قراره فيهم، فأعطاهم مهلة للتفكير في العدول عن موقفهم هذا ثم غادر المدينة. فترك الفتية المدينة ولجؤوا إلى جبل أنخليوس خارج إفسوس حيث اختبئوا في كهف. وعندما نفذت مؤونتهم أرسلوا واحداً منهم إلى المدينة ليشتري لهم طعاماً، وهناك علم أنّ الإمبراطور قد عاد إلى إفسوس وهو يطلبهم. اضطرب الفتية لسماع هذه الأنباء، وبعد تناولهم طعامهم ألقى عليهم الربّ سباتاً عميقاً، وأغلق عليهم مدخل الكهف بصخرة عظيمة. ففتّش جنود الإمبراطور عن الفتية ولم يعثروا لهم على أثر في المدينة، فجاؤوا إلى أهلهم وانتزعوا منهم تحت التهديد بالقتل مكان اختباء الفتية. ولكنهم عندما وصلوا إلى الكهف وجدوه مغلقاً بتلك الصخرة العظيمة، وتأكّد لهم أن الفتية قد لقوا حتفهم في داخله، فغادروا وأخبروا الإمبراطور.

دام سبات الفتية ثلاثمائة وسبع سنين. وكانت الدولة قد تحوّلت إلى الدين المسيحيّ منذ أمد بعيد، وآلت السلطة إلى الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني. وفي عصر هذا الإمبراطور دار جدال في الأوساط المسيحية حول مسألة بعث الأموات، ووقف أحد الأساقفة المدعو ثيودور في صفّ من ينكر البعث، الأمر الذي أرّق الإمبراطور. في هذه الأثناء أراد مالك الحقل الذي يقع فيه الكهف بناء حظيرة لغنمه، فراح يقتلع من صخرة المدخل حجارة لاستخدامها في رفع الجدران، وذلك حتى انكشف مدخل الكهف. ولكن الرجل لم يدخل ولم يلحظ وجود أحد هناك.

ثم إن الله أيقظ الفتية من سباتهم، وظن كل واحد منهم أنه لم ينم إلا ليلة واحدة، وراحوا يشجّعون بعضهم على النزول إلى المدينة لاستقصاء الأخبار وشراء الطعام. وأخيراً وقع الاختيار على المدعو ديوميديوس الذي نزل في المرّة الأولى، فحمل فضته ومضى. عندما وصل ديوميديوس إلى بوابة المدينة رأى صليباً كبيراً معلقاً عليها، فتعجب وتبلبلت خواطره ولم يجد لذلك تفسيراً. ثم إنه دخل وتجول ووقف أخيراً عند أحد الباعة ليشتري طعاماً، وعندما أخرج نقوده المعدنية رأى البائع عليها صورة الإمبراطور ديكيوس، الذي اختفى الفتية في عهده، منقوشة على العملة، فظنّ أنّ الفتى قد عثر على كنز قديم مدفون في الأرض، فراح يضغط على الفتى لمعرفة مكان الكنز وتجمّع حولهما أهل السوق.

ثم إنّ الخبر شاع بسرعة ووصل إلى أسقف المدينة وإلى الحاكم، فجيء بالفتى إليهما وقصّ عليهما القصّة كاملة، وطلب منهما مصاحبته إلى الكهف للتأكّد من صحّة كلامه. وخلال تفحّصهما لمدخل الكهف عثرا على رقيمين معدنيين نُقشت عليهما كتابة تحكي قصة الفتية زمن احتباسهم، ووُضع الرقيمان تحت صخرة المدخل. وبذلك تمّ التأكد من صحّة روايتهم. ثم إنّ الإمبراطور نفسه جاء إلى المكان واستمع إليهم، فقال له واحد منهم إنّ الله قد أنامهم هذه المدة الطويلة ثم أيقظهم، لكي يثبت للمتشكّكين حقيقة البعث في يوم الحساب، وقدرة الله عليه. عند ذلك أمر الإمبراطور ببناء مقام دينيّ في موضع الكهف تذكاراً للفتية.



ا يدعى أنها مقابر نوام أفسس في تركية

مقارنة:
الرواية السريانية---الرواية القرآنية

عدد الفتية سبعة أو ثمانية تبعاً للروايات المختلفة المتداولة - سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم. قل ربّي أعلم بعدتهم.

الفتية يرفضون السجود للآلهة الوثنية، ويفضّلون العذاب على التخلي عن معتقدهم. - فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدى، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا: ربّنا ربّ السماوات والأرض ولن ندعو من دونه إلهاً.

الفتية يلجؤون إلى جبل خارج مدينة إفسوس ويأوون إلى كهف . - وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله، فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً.

الإمبراطور يرسل من يأتي إليه بالفتية، ولكن الله يلقي عليهم سباتاً وييسر لهم من يسد بابه بصخرة. - إذ آوى الفتية إلى الكهف فقالوا: ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً.

دام سبات الفتية ثلاثمائة وسبع سنين. وكانت المملكة خلال ذلك قد تحولت إلى المسيحية. - ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وزادوا تسعاً. والله أعلم بما لبثوا.

الله يوقظ الفتية، فظن كل منهم أنه لم ينم إلا ليلة واحدة. - وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم. قال قائل منهم: كم لبثتم ؟ قالوا: لبثنا يوماً أو بعض يوم.

الفتية يرسلون واحداً منهم بفضّته للاستطلاع وشراء الطعام . - فابعثوا أحدكم بوَرَقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيُّها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه.

النقود القديمة تكشف أمر الفتية فيأتي الحاكم والأسقف إلى الكهف ليجدوا رقيمين دوّن عليهما خبر الفتية. -ترد الإشارة إلى هذين الرقيمين في مطلع القصة: أم حسبت أن أهل الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً؟

يأتي الإمبراطور نفسه إلى الموقع، ويقول له الفتية بأن الله فعل بهم ذلك ليؤكد للمتشككين حقيقة البعث والحساب. - وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها.

الإمبراطور يأمر ببناء مقام ديني في موقع الكهف. - فقالوا: ابنوا عليهم بنياناً. قال الذين غَلبوا على أمرهم: لنتخذن عليهم مسجداً.

الهوامش:

١) الرقيم هو لوح فخاري أو حجري أو معدني تنقش عليه الكتابة القديمة .

٢) أي هل ظننت أن أهل الكهف والرقيم كانوا أعجب آياتنا ؟ والمقصود أن لله آيات أعجب من ذلك.

٣) أي رمينا عليهم سباتاً فناموا .

٤) سنين كثيرة .

٥) أي أن الفريقين المختلفين بشأنهم عرف عدد سنوات نومهم .

٦) أي لقلنا قولاً بعيداً عن الحق .

٧) أي هلاّ أقاموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً

٨) أي ما ترتفقون به من طعام وشراب .

٩) أي تميل عن كهفهم .

١٠) أي تعدل وتبتعد .

١١) أي نقودكم أو فضتكم .

١٢) أي يعرفوا بأمركم .

١٣) أطلعنا الناس عليهم .

١٤) أي فريقان من الناس تنازعوا بشأن ماذا يفعلون بموضع الكهف.

١٥) أي بعددهم.

١٦) أي لا تجادل بشأنهم إلا جدلاً متيقن عارف بحقيقة الخبر .

١٧) K.Sanadiki , Legends - and Narratives of Islam , Kasi publications , Chicaco , 2000 . pp . 286-288 . Citing : James Hasting , Encyclopedia of Religion and

التقديم لـ atheeriraqi


يعقوب احمد يعقوب

لا قيمة للإنسان عربياً كان أو مسلماً

يبدو أن الإنسان العربي منذ الأزل قد تعود على العبودية، فحتى عندما كان العرب وثنيين اختار بعضهم، دون جميع البشر على الأرض، أن يسموا أولادهم بأسماء العبودية مثل عبد العُزى وعبد شمس وعبد الدار. ورغم أن البعض الآخر لم يتسموا بأسماء العبودية وكانوا شامخي الرؤوس لا يخضعون لأحد، بل تحدوا الملوك أن يخضعوهم، كما قال عمرو بن كلثوم في معلقته:

بأي مشيئة عمرو بن هند - نكون لقيلكم فيها قطينا
بأي مشيئة عمرو بن هند - تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تَهَدّدنا و أوعِدْنا رويداً - متى كنا لأمك مقتوينا
فإن قناتنا يا عمرو أعيت - على الأعداء قبلك أن تلينا

والقيل هو الملك والقطين هم الخدم وكذلك المقتوى. فالشاعر يقول له: لسنا عبيداً لك أو لأمك. ولكن للأسف لم تدم هذه الروح الأبية طويلاً في جزيرة العرب بعد قدوم الإسلام الذي جعل كل الخلق عبيداً لله، ثم زاد بعضهم في عبودية أنفسهم فأصبح أحدهم «عبد الرسول» ثم ازدادت العبودية فأصبح العربي والمسلم «عبد الزهرة» بنت الرسول. ثم تدرجنا فأصبح العربي المسلم «عبد الحسين» ووصلنا الدرك الأسفل عندما أصبح العربي «عبد الأمير». فالعبودية أصبحت تجري في شراييننا كما يجري الدم. وإذا نشأ الإنسان عبداً فسوف يظل عبداً إلى يوم يبعثون وسوف يكون أطفاله وأحفاده عبيداً. وقد أكد الفقه الإسلامي أن أطفال العبد ملك لسيده.

يقول علماء النفس أن الطفل الذي ينمو في بيت يحكمه أب متسلط تحل العصا منه مكان الحب، ويحل التسلط وفرض الرأي مكان الشرح والإقناع، ينشأ طفلاً خجولاً فاقداً الثقة بنفسه وليس لذاته قيمة. والشعب الذي يتكون من مثل هؤلاء الأفراد يكون شعباً لا قيمة له ولا يجيد غير تقبيل أيدي وأنوف حكامه ولا يمانع في تقبيل مؤخراتهم أن طلبوا منه ذلك.

والحاكم العربي أو المسلم لا يهمه من أفراد شعبه أحد لا يمت له بصلة القربى ولا يفكر في مساعدتهم في الملمات. فمثلاً عندما كنت في السعودية أيام حرب العراق وإيران، طلبت السفارات الغربية والسفارة الأمريكية من رعاياها تسجيل أسمائهم وعناوينهم حتى يسهل إخراجهم على عجل في حالة احتمال وجود أي خطر عليهم. وبالفعل عندما بدأت صواريخ صدام تسقط على الظهران والرياض، أجلت شركة الأرامكو جميع موظفيها الأمريكان إلى قبرص. وبالطبع لم تتصل أي سفارة عربية برعاياها لتسجيل أسمائهم وعناوينهم. ولم تفكر أي حكومة في إجلاء رعاياها عندما سقطت الصواريخ. وعندما دخل الجيش الأمريكي إلى أفغانستان واحتجز المئات من العرب والأفغان في سجن جوانتينمو في كوبا، لم تحرك حكومة عربية أصبعاً لتفقد حال رعاياه في ذلك السجن، بينما أرسلت الحكومات الغربية ممثليها لتفقد أحوال مواطنيها الذين هم أصلاً من الأعراب والأسيويين، ولكنهم لحسن حظهم تجنسوا بجنسيات بلاد الله المتحضرة. وقد أجبرت المحاكم الإنكليزية حكومة إنكلترا على بذل كل ما في استطاعتها للإفراج عن المساجين الذين يحملون الجنسية الإنكليزية، وفعلاً أُطلق سراحهم قبل أكثر من عام. وعندما اختطفت وكالة المخابرات الأمريكية في إيطاليا إمام جامع مصري كان يقيم فيها، وسلمته سراً إلى مصر حتى يعذبه زبانية مبارك ليبوح لهم بأسراره، تحرك النائب العام الإيطالي وفتح قضية ضد عملاء وكالة المخابرات الأمريكية وما زالت القضية تتطور. ولكن عندما تختطف المباحث المصرية صحفياً مناوئاً للحكومة ويختفي من على وجه الأرض، فلا دخل للحكومة المصرية بذلك. وقد اختفى مئات المصريين دون أن تحرك الحكومة ساكناً. وعندما يختفي الإمام الصدر ومرافقوه في ليبيا، تسد الحكومات العربية آذانها، فلا عين رأت ولا أذن سمعت.

ورغم معرفة كل العرب بهذه الأمثلة ومعرفتهم

كذلك أن إسرائيل لا تقل ضراوة في حماسها في الدفاع عن مواطنيها وأنها سبق وأن قايضت عظام أحد طياريها بمئات السجناء الفلسطينيين لأنها تعتبر أن عظام طيارها تساوي ذلك العدد من الفلسطينيين، رغم ذلك تقوم حماس، بمباركة الشعب الفلسطيني الذي انتخبها، باختطاف جندي إسرائيلي لتقايض به إسرائيل لإطلاق سراح ألف سجين فلسطيني. فحماس نفسها تعترف بأن الجندي الإسرائيلي الواحد يساوي ألف سجين فلسطيني. وطبعاً رفضت إسرائيل وقتلت العشرات من الفلسطينيين وجرحت المئات وحطمت البنى التحتية في غزة وما زالت تحطم إلى أن يُطلق سراح الجندي المختطف.

ورغم أن المثل العربي يقول: العاقل من تعلم من أخطاء غيره، فقد رأينا حزب الله وزعيمه المعصوم الذي هو فوق النقد، يختطفون جنديين إسرائيليين لمقايضتهم بالأسرى الفلسطينيين. وبوادر النتيجة قد ظهرت للعيان في تدمير البنى التحتية في جنوب لبنان وإغلاق مطارات لبنان وحصاره جوياً وبحرياً. إسرائيل بصلفها المعهود تفعل كل ذلك لاسترجاع جنديين أحدهما عربي درزي. ما أبخس الإنسان العربي في بلاده.

والمؤلم حقاً أن العرب قد استكانوا للذل والهوان وعرفوا أن قيمة العربي صفر على الشمال في حسابات الشعوب. فالشعب اللبناني هلل وكبر وخرج في مظاهرات التأييد، رغم الدمار الذي حدث لبلدهم، لأن كتائب حزب الله استطاعت أن تختطف جنديين إسرائيليين وتمرغ أنف إسرائيل في التراب. فهم على الأقل فرحون لأنهم تخيلوا أن أنف إسرائيل أصبح في التراب مثله مثل أنوفهم التي لم تفارق التراب منذ أمد طويل.
والحكومة السورية التي برعت في استعمال مدفعيتها الثقيلة وطيرانها ضد مواطنيها في حماه وغيرها من المدن، وأذلت شعبها وكممت أفواههم، تعلمت هي الأخرى أن تبقي فمها مكمماً صامتاً لا ينبس بكلمة عن دمار لبنان وعنجهية إسرائيل، رغم أنها هي التي دفعت حزب الله لاختطاف الجنديين الإسرائيليين. أما إيران، قلعة الدفاع عن الإسلام ورافع راية فلسطين، قد عودت مواطنيها كذلك على الرضاء بقدر الله وعدم الخروج في مظاهرات لم يصرح بها مرشد الجمهورية الإسلامية.

حتى في إسرائيل نفسها رفعت خمسة منظمات تهتم بحقوق الإنسان قضية ضد وزير الدفاع الإسرائيلي لإجباره على وقف العدوان وفك الحصار على غزة. أما الشعوب العربية والإسلامية فما زالت في انتظار الإشارة من قادتنا المعصومين حتى يخرجوا في مظاهرات تفدي الحكام بالدم وبالروح أولاً ثم تهتف بسقوط أمريكا وإسرائيل.

ولا بد لي هنا من أن أختلف مع السيد هاني نقشبندي الذي كتب مقالاً في إيلاف تحت عنوان «اللعنة على الجميع» لعن فيه الشعوب العربية التي لم تحرك ساكناً حتى الآن لتظهر بعض التعاطف مع الفلسطينيين واللبنانيين. وسبب اختلافي مع السيد هاني هو أن الحديث النبوي يقول «أذكروا محاسن موتاكم» والشعوب العربية شعوب ميتة معنوياً ولذلك لا يجوز أن نلعنهم بل يجب أن نذكر محاسنهم مثل: الطاعة العمياء لولي الأمر، والتسليم بقضاء الله وقدره، ومحاولة تغيير المنكر باليد. فالشعوب الحية تثور على حكامها الفاسدين ثورة سلمية سلاحها الاعتصام في الشوارع مع رفع الأعلام الصفراء حتى يضطر الحاكم إلى التنازل عن عرشه. أما الشعوب الميته أو شعوب العبيد الذين لا قيمة لهم فلا تدخل ثورة الأعلام الصفراء المجال الجوي لأدمغتهم التي غُسلت من قبل أربعة عشر قرناً من الزمان.

مقال كتب في سنة ٢٠٠٥ أي قبل انطلاق الثورة السورية ب ٦ سنوات .

قابلت يوماً رجلاً عربيا من تونس، وكان فرحاً بزوال حكم بورقيبه الذي طال عليه الأمد، وتعفن مع تيبس مفاصل الثعلب، فضحكت من سذاجته، وقلت له لقد جاء نفس الحاكم فلم يتغير، بفارق أنه أكثر فتوة وأمضى دهاء وقسوة، وباسم براق فهو درة المتقين وفخر المصلين وشمس الواعظين. فلم يصدق كلامي.
وفي الأساطير اليونانية يتكلمون عن طير (الفينيكس) أنه ودوماً يخرج من رماده طير جديد، يعيد دورة الحياة فلا يموت أبدا، وفعلا هذا الذي حدث، بفارق أن الأمر أصبح أسوء مما توقعت.

وأتذكر جيدا شابا سودانياً كان في ممر المشفى حيث كنت أعمل يركض بحماس عام ١٩٨٩ م قلت له ما الخبر قال: انقلاب رائع في السودان؟ قلت له هو في الغالب من تدبير ثعلب السودان (الترابي) قال لا ليست رائحته إسلامية؟ قلت له ولكن المهدي طار والرجل جاء بالديمقراطية؟ قال لا إنه كان فاسدا ويجب أن يطير؟

وأتذكر أنني اجتمعت بشاب حلبي في اليمن وكنت متفائلا؛ فقلت له هذا السودان على طريق الديمقراطية، وكان سوار الذهب قد أعطى نموذجاً مميزا في العالم العربي بتركه السلطة، بدون قتل واعتقال وانقلاب، كما كان الناس قد ارتاحوا من النميري وشريعته، فنظر إلي ضاحكاً وقال: غدا سوف تسمع خبر البلاغ رقم واحد، والسودان بلد القبائل، والديمقراطية مكانها سويسرا، وبين السودان والديمقراطية أربعين خريفا؟

وبعد سنوات تبين أن الانقلابي كان (ترابياً)، ثم انقلب الانقلاب على الانقلاب وطار الترابي على يد الإخوان، كما طار البيطار وفلق على يد الرفاق، بفارق أن البيطار طار رأسه في باريس، وحافظ الترابي على رأسه فوق كتفيه، بسبب قوة حجة القبائل التي رواها لي الحلبي في اليمن.

وأتذكر من أيام القامشلي أننا كنا أطفالا نسمع أخبار الانقلابات بفترات متقاربة وكنا نظن أن الأمور تمشي نحو الأفضل فلم تزد إلا خسفا ومسخا. ولم يكن يخطر في بالنا ولا بالمنام أن النظام الثوري سوف يصبح ملكيا، ولكنه صار. وهو مرض عربي لا يخص قطرا دون آخر ففي كل بلد يستعد أبناء الثوريين الانقلابيين لاحتلال مكان الآباء الجنرالات. بعد أن بارك الغرب هذا التوجه بعد استسلام الجنرالات الكبير ودفع الجزية عن يد وهم صاغرون.

وفي يوم حصلت معركة في دمشق تجمع لها الناس في اليوم التالي ليروا حصاد الهشيم يتفرجون على البطولات، بفارق أنه ليس كل الناس كان من الفرحين، فقد طارت رصاصة طائشة إلى بناية تجمعت فوقها عائلة فلسطينية ترقب المشهد مثل الألعاب النارية، وكانت المعركة يومها محتدمة عند مسجد الروضة في دمشق، فخرقت صدره فسقط صريعا، والأهل يظنون سقوطه من كل شيء إلا بالرصاصة وموت الشاب؟

وهذه الأيام انعقدت قيادة الحزب بعد مرور اثنين وأربعين عاما فلم يتغير شيء سوى المظهر الخارجي، كما تغير الأفعى جلدها بين الصيف والشتاء. فيتقاعد الكبار، ويفرغون مقاعدهم لجيل مدرب على نفس العقلية؛ فيخرج من هو أنشط وأسرع وأكثر تهورا في المضي في طريق الكارثة.

وتمخض الجبل فولد فأرا، وسكت دهرا فنطق كفرا، وقالوا لقد تغيرت القوانين فلم يعد وجود للاعتقال التعسفي؟ بل يقدم لمحاكم أمن الدولة؟ والمواطن الفقير المسكين يعرف تفسير هذا الكلام جيدا، ومعنى هذا الكلام أن أي اعتقال هو ليس تعسفيا بل زيارة

ودية لفرع أمني، وهنا يكسب القاموس الحزبي، كلمة ويخسر الواقع حقيقة، ويلبس رجال المخابرات ثوب القضاة، فيحكمون بسجن مواطن أكل من الشجرة المحرمة من الانترنت السنوات ذوات العدد لأنه سمح لعقله أن يتفتح، حيث يجب أن يكون نباتيا، مثل موت الدماغ في العناية المشددة.

وبقي الحزب هو الأول والآخر والباطن والظاهر وهو بكل شيء عليم. وبقيت الفروع الأمنية كما هي تحصي دبيب كل نملة وطنين كل نحلة، ولا يأخذها سنة ولا نوم. وبقيت نفس العقلية تدير نفس الآلة الجهنمية من السهر على عقل قاصر، عليه تكرار نفس الشعارات، وترداد حجج قضت أجلها مع موت ستالين؛ مما جعل (حسن عبد العظيم) الناطق باسم الائتلاف السوري المعارض يحذر من «انهيار النظام من الداخل جراء الضغوط الخارجية، إذا لم يقم بإدخال إصلاحات حقيقية، معتبرا أن المؤتمر يشكل «الفرصة الأخيرة» للنظام لإدخال إصلاحات».

وعبد العظيم هو الأمين العام لحزب الاتحاد الاشتراكي العربي الديمقراطي الذي يشكل مع خمسة أحزاب أخرى التجمع الوطني الديمقراطي المحظور في سوريا. ولكن من يسمع ويعقل؟

وبالمقابل صرحت الناطقة باسم الحزب أنه لم يمر على البلد وقت مثل هذا الوقت لممارسة قانون الطوارئ؟؟ مما يدل على أن أصحاب الامتيازات لا يتنازلون عن امتيازاتهم، ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم. فيقولوا هل إلى مرد من سبيل.

اجتمعت جوقة الحزبيين البعثيين لعزف لحن الموت في شهر يونيو ٢٠٠٥م. وكان من المفروض أن تقرأ الفاتحة، وتوزع النعوة، وتدفن جثة الحزب التي فاحت رائحتها، ولكن الكاهن الأعظم لم يعلن الوفاة بعد.

ومع شعور الكل أن الحزب مات، وأن البلد يحكم برهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ولكنها الامتيازات، ويجب أن تستمر لآخر لحظة.

وفي اجتماع الحزب الشيوعي العشرين وقف خروتشوف فهاجم ستالين ولعنه في قبره إلى يوم الدين، فقام رفيق حزبي وصرخ من نهاية القاعة: وحضرتك أين كنت وقتها؟ فسكت خروتشوف وصمتت القاعة، وكأن الطير على رؤوس الناس، فنطق خروتشوف وقال: أين القائل؟ فلم يحر احد جواباً؟ قال خروتشوف: هذا هو السبب فكما سكت سكتت. فهذه هي اجتماعات الحزبيين الذين يحسنون الزعيق بحياة القائد إلى الأبد بجانب اسم الله السرمدي. يضاهئون قول الذين كفروا من قبل.

اجتمعت الجوقة الحزبية وقالت إن البلد يحتاج لإصلاح، ولكن من يتجرأ فيصلح؟ وكيف يصلح؟ وماذا يصلح؟ إنه مثل عملية تغيير رأس، واستبدال قلب، وزرع كلية، وتوصيل شرايين بدون مشفى وعناية مركزة وجراحين وأدوات؟

ومن دواعي الغرابة أن الحزب يجتمع في اليوم الذي كان وزير دفاعه يعلن سقوط الجولان عام ١٩٦٧م قبل سقوطه، فأكرمه الحزب بأن رفع رتبته إلى رئيس فسجن رياض الترك في زنزانة إفرادية ١٧ سنة.

وفي نكبة حزيران التي توافق هذه الأيام زعق قادة الحزب كما وصفهم (مالك بني نبي) في نكبة كبيرهم عبد الناصر، أنهم تصرفوا كالأطفال في حل مشاكلهم برفس الأرض والبكاء. وفي اليوم الذي سقط الجولان كان الكثير من المعتقلين السياسيين يفرج عنهم من سجن تدمر ببركة هذا السقوط؟

والجيل الحالي لا يعرف ماذا حدث في تلك الأيام، وجيلنا هو جيل المحرقة والتيه والخوف، بعد أن

وضع البلد في براد جليدي أربعين سنة، وبعد أن استبيح البلد بالطول والعرض.

ولكل أجل كتاب، ولكل حزب أجل، فإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون.

وأنا أتعجب من البعض حين يتوقعون أن محاور الزمن سوف تقلب، فيرفع القيد عن الأمة. والخطأ منشؤه هو أن من تمتع بالسلطة لا يتزحزح، فقد قست قلوبهم وغلظ فهمهم وظنوا أن التاريخ كلمتهم.

ولكن لماذا هذا الوباء والغباء في العالم العربي؟ إنها بنية فرانكنشتاين، بدماغ من عائلتين، وقلب طائفي، وعمود فقري من ضباط تدربوا على القتل، وعضلات وعظام من الأقليات والريف والهوامش من الدهماء، وأحشاء بورجوازية المدن المنحلة، يغلف كل هذا جلد من الحزب القائد؟ فهل يمكن لهذا الكائن الخرافي أن يعيش إلا في الأساطير؟؟ والمسألة مسألة وقت فتجتث هذه الشجرة من جذورها لأنها كلمة خبيثة، ولكن كما يقول رياض الترك في ثلاثيته المشهورة: النظام من الخارج ثوري ومن الداخل أمريكي ويمكن أن يصمد لريح العولمة كما صمد القذافي بعد دفع الجزية، والنظام ضعيفة والمعارضة أضعف والعلاقة التي تحكم هذا الوضع هي توازن الضعف، والنظام الذي ركبه الأسد القديم نظام غير قابل للإصلاح. وما حصل في المؤتمر الحزبي تحصيل حاصل، ومن ظن غير ذلك خالف قواعد الرياضيات وكان واحدا من ثلاث مغفل أو ساذج أو فاسد.

ولكن المؤشرات اختلفت اليوم، فرياح العولمة تهب بريح صرصر عاتية، ومقتل الخزنوي سمع به أهل الاسكيمو وجزيرة هوكايدو، وصدامات القامشلي تتناقلها مواقع الانترنت بسرعة الضوء، والـدردار الذي يعتقل في دير الزور ترسل خبره لجنة حقوق الإنسان إلى كل مكان، ورجال الأمن يقتلون الصحفي سمير قصير، وهم يظنون أنهم يقتلون سليم اللوزي، ويلوحون بمكانس الساحرات من العصور الوسطى ليصطادوا أطباق فضائية تئز فوق رؤوسهم بسرعة الضوء.

وهذا من قصر النظر وعمى القلب.

ويبدو أن النظام الشمولي في طريقه إلى الانحلال والتفكك، وكل مسئول قد أعد نفسه ليوم الزلزلة بجواز رأسمالي وكاش، وكان من الأفضل في هذا اللقاء الحزبي أن ينفخ في الصور وتعلن قيامة البعث، كما فعل بوريس يلتسين مع الحزب الشيوعي.

ولو اندفعت الجماهير إلى ساحة المرجة كما فعلت الجماهير اللبنانية لارتج النظام وهرب تشاوسسكو، ولم يعد في مقدور النظام أن يطلق النار على الجماهير، ولو فعل لجاءته طير أبابيل، ولو أن المعارضة انتظرت هذه الأيام الناضجة وحشدت بضع آلاف في الشوارع لهرب رجال المخابرات بأشد من الجرذان إلى البلاليع، ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها.

وقبل أيام من اجتماع الجنازة الحزبية الأخيرة قرر الشعب كلمته حين خرجت النساء يطالبن بالإفراج عن أولادهن وأزواجهن، وليس أبلغ في التعبير وأصدق من المرأة. والمختفون أكثر من خمسة عشرة ألف؟ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون؟


الشعب السوري عارف طريقه
ثورة حتى النصر
لن نتراجع .. لن نيأس .. لن نتعب

كان ألبير كامو يعبّر، أمام صورة طفل ميت، عن خيبته في الإجابة على السؤال الذي يطرحه موت الأطفال. هذا «الجرح» الميتافيزيقي آلم أيضاً دوستويفسكي الذي ظل عاجزاً عن فهم مغزى هذا الموت الملائكي الذي يخفي في صميمه بعداً مأسوياً. كيف سيحاكم الأطفالُ العالم، إذا هم قضوا في أوج طفولتهم؟ كيف لبراءتهم أن تفضح الشرور المتآكلة إذا هي سقطت مضرّجة بدمها الأبيض؟ أما «ملكوت السماوات» فهل يدخله الأطفال مقتولين أو مذبوحين؟ هل يدخلون الجنة بجروحهم وأشلائهم وصرخاتهم المكتومة ؟

كان مشهد الأطفال في مجزرة داريا السورية رهيباً، شديد الرهبة، مثله مثل سائر المشاهد التي تتوالى منذ اندلعت ثورة الشعب السوريّ. لكنّ المرارة إزاء هذا المشهد الأخير كانت حارقة. لم يكن من معنى للتألّم والتأوّه، فاقت المأساة الحدود القدرية المرسومة لها. لم يكن من معنى لإغماض العينين أو الإشاحة بهما عن الجثث المعذبة. كانت الكارثة أشدّ هولاً من الكوارث السابقة. أو هكذا ظننت. أطفال لا يحصى لهم عدد، لفّوهم بما تيسّر من أكفان أو شراشف، حفروا لهم ما يشبه ساقية ماء طويلة، ووزّعوهم جثة جثة. وعندما راحوا يجمعونهم بُعيد المجزرة، بدا المشهد «أبوكاليبسياً»، مهولاً بدمويته: أشلاء أطفال، أيد وأرجل مقطوعة، ثياب وأحذية مبعثرة، بقايا منزل أو بقايا عالم والدم ينتشر كالغبار، غبار أحمر...

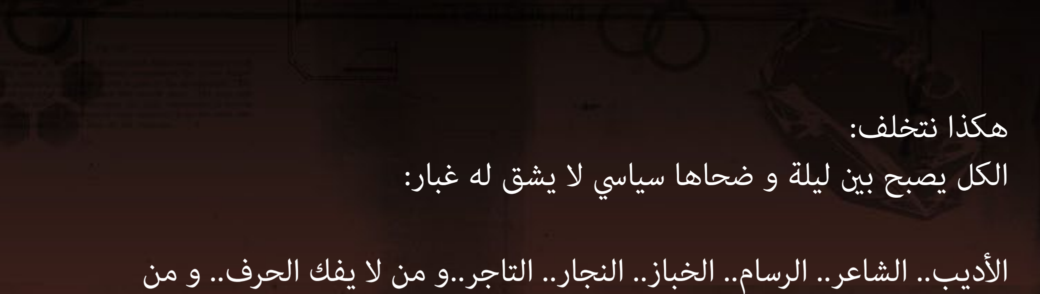
لا أعتقد أن وحشية القتل الاسرائيلي بلغت مثل هذا الحجم أو الرعب. القتل «التوراتي» قد يبدو أشدّ رحمة أمام القتل «البعثي» السوري. حتى مقتلة الأطفال التي ارتكبتها اسرائيل في بلدة قانا لم تكن في هذه الحدّة. الاسرائيليون يقتلون الأطفال العرب خوفاً من مستقبل هؤلاء الاطفال. «البعث» السوري يقتل الأطفال خوفاً منهم، ماضياً، والآن وغداً. هذا ليس قتلاً للقتل كما تفعل اسرائيل، هذا قتل متعمّد، قتل للترويع، قتل من أجل «البعث»، بعث الأطفال من حطام العالم، بعثهم الى المقابر والى هاوية ذاكرة الحياة.

حملت الفتاة الصغيرة «أسماء» لافتة بيضاء في تظاهرة شهدتها بلدة داريا السورية، على اللافتة كتبت: «انصر يا ربّ الجيش الحر قبل أن يأتي دوري في الموت». لم تمضِ بضعة أيام حتى سقطت «أسماء» في مجزرة داريا. نقلت الكاميرات صورتها راقدة بين الخرائب، على وجهها ابتسامة ملؤها الأسى، عيناها المفتوحتان اللتان تنظران الى السماء كانتا تخفيان الكثير من العتب. لم تقرأ السماء ما كتبت «أسماء» على لافتتها، لعلّ السماء لا تقرأ مثل هذه الرسائل، لعلّها كانت ملبّدة بغيوم الموت فلم تبصر.

يخشى «البعث» السوري وجوه الأطفال وما يرتسم عليها، فيحرقها ويمزّقها. يخاف هذا «البعث» عيون الأطفال وما تخفي في عمقها، فيطفئها. يخاف «البعث» صراخ الأطفال فينزع حناجرهم... لأنهم المستقبل يقتلهم، لأنهم الماضي يقتلهم، لأنهم أبرياء وبسطاء وأنقياء يقتلهم، لأنهم سيحاكمونه في محكمة القدر، يقتلهم. بلا رحمة ولا رأفة ولا حسرة...

لا أدري مَن قال إن الجرح على وجه الطفل يزيّنه... فعلاً رأينا وجوه الأطفال كأنها مزيّنة بالجروح... كأنها وجوه في لحظة جنازتها، في لحظة زفّها الى السماء. إنهم الأطفال الذين لم يتسنّ لهم أن يكبروا ليعودوا كالأطفال ويدخلوا ملكوتهم. قتلهم «البعث» السوري قبل أن يدركوا ماذا تعني الحياة، جعلهم يسبقون أنفسهم الى الملكوت.

قد لا يجدي الكلام أمام مشاهد الأطفال المقتولين. حتى الشعر المأسوي لا يجدي. حتى الرثاء. حتى الدمع وإن انهمر



هكذا نتخلف:
الكل يصبح بين ليلة و ضحاها سياسي لا يشق له غبار:

الأديب.. الشاعر.. الرسام.. الخباز.. النجار.. التاجر..و من لا يفك الحرف.. و من تخرج من الثانوية بمجموع يسمح له أن يصبح ناطقا باسم « الله»...
الكل يصبح سياسيا في زمن (الصرامي)..
الكل يكذب لأن السياسة ملحها الكذب، و كل على (مزبلته) صياح.. يجيد فن (النواح).. و فوق هذا كل (وضيع) انقلب مع قطيع طائفي و رجم (بوعيه) الفذ كل من خالفه يحمل مورثات طائفة أخرى.

يا (لعاركم) يا (متثاقفي) الأوطان المحترقة.

لمى محمد




REVOLUTION

إرضاء الصراصير ثم إرضاء الكبير

(لن آخذ ديني عن رجل لا يعمل إلا بفمه) .
كارل ساندبرغ

مع أني أمضيت كامل المساء أغسل أدراج المطبخ، و أرش مبيدا للحشرات الزاحفة، و كلّي أمل بصباح لا صراصير فيه، لكن الأرق كان صديق ليلة أنهيتها بقراءة غير سعيدة لترهات جديدة يطلقها من يقال عنهم: علماء دين، و الأصح تسميتهم (أصحاب أفواه)...

و في حلمي.. كان لخروج قافلة الصراصير من منزلي وقعا خاصا، فلم أكن من طردها لكنها خرجت تحمل لافتات كثيرة كتب عليها أنها ستبحث عن مكان آخر لتأكل فيه.. وعن بيت تتمتع فيه بفتاوى أكثر منطقيّة.

كما غنت الصراصير بأعلى صوتها : أنا مش كافر ..بس الجوع كافر..
و نادت بتوحيد الجهود نحو مجتمع يحلل(إرضاع الصراصير) من باب الشفقة و الحرام..فحملت لافتة كتب عليها:
(لا نحتاج للمص و لا نسعى للجنس، نرجوكم فقط زودونا بالحليب و الطعام..)

استيقظت مبتسمة، ربما تفسر حلمي بعدد من الضحايا فوق(بودرة) المبيد الحشري، دخلت المطبخ، لتعلن قبيلة الصراصير انتصارها..(ولا قتيل).

-ربما أحتاج مصيدة فئران..قلت في نفسي.

في الصباحات العربيّة تستقبلك الشائعات و الأحداث و الأقاويل قبل أن تدرك تماما أنك استيقظت في يوم جديد.

لم يكن ذلك النهار مميّز، صباح صيفي اعتيادي من صباحات دمشق التي أعشقها، سماء صافية، و نسمة باردة اعتادت على المرور صباحا قبل أن يحتل مكانها حر شديد.
و لعلّ الحدث الأبرز ليومي ذاك كان حوارا استرقت السمع إليه، و بكامل الإصرار و الترصد، و دونته في دفتري الأسود محتفظة بتعليلات كثيرة تكفل لي الإجابة على سؤال ملحّ:

(لماذا هاجرت الصراصير؟!)

****

-في أي جامع صليّت الجمعة؟
- في الجامع الجديد المجاور لبيتنا..(شي فخامة، مكلّف ملايين)
- هل مازلت تسكن في نفس البيت (العتيق) ، و بالأجرة؟
-و هل يوجد مكان أوفر ..(رح ضل) ساكن فيه حتى أموت.
- عمّا تحدثت خطبة الجمعة؟
-عن الفسق و الفجور في (أحياء دمشق القديمة).. قال الخطيب كيف يمكن لمنطقة عريقة بدياناتها مثل الشام القديمة أن تتحول إلى مكان للعشاق و المطاعم و حفلات أعياد الميلاد ..كيف لمكان تقطنه المحجبات الوقورات أن يكون مرتعا للسافرات..
-سيدي (شو وقفت على الشام القديمة، الدنيا كلها صار بدها تغيير)..نزلنا عاليمين يا معلم.

نزل الحوار من السرفيس قبلما يكتمل ، و قبل أن أتخيّل تتمته أخرجت دفتري، لأحتفظ بالحديث (المذهل) لشابين في العشرينيات، تبدو عليهما كل علائم الفقر و الحاجة، و أنهيت الحوار بسؤال للراوية (أنا):

من المسؤول؟!

إن خطبة الجمعة التي تحدث الشابان عنها، لم تكن سوى واحدة من الفتاوى التي تطلق بدون رقابة، و تقوم بخلق و اختلاق حقيقيين للكراهية، و رفض الآخر، محللّة ما تراه مناسبا لمصالحها، و مصالح من يسندها.

و إن ما خفي كان أعظم، على اعتبار أن(معظم)من يتشدقون بالدين، يهدرون دم «غاندي»، و «أينشتاين» ..هذا طبعا إن عرفوهما!

ما اعتدت سبّ المقدسات، لأنّي أعلم تماما ماذا يعني المقدس بالنسبة لشخص ما، و ماذا يعني كل ذلك الأمان الذي يحيط بفكرة محددة، و كيف يصبح ملاذا في حالات الضعف و الخوف.. لكني استغرب دوما من تعميم ساذج لفكرة التقديس، مما يجعلها فكرة مضحكة، هشة، و قابلة للسخريّة.

إنّ الإيمان بمقدس ما، يجب أن يكون من العمق و القوة بأن لا يتزعزع بنقد أو تحليل، هذا من جهة، و من جهة أخرى، فإنّ التقديس و استخدام العقل لا يجب أن ينفصلا.

أي أنك عندما تتقبل الآخر باختلافه، لن نقترب من مقدسه ذو البعد الإنساني، لكنك و باستخدام بسيط للعقل لن نقبل بتقديس شخوص تطلق الفتاوى، و تحلّل و تحرّم معتبرة نفسها كآلهة!

إن إخضاع (المقدسات) لمنطق العقل هو الحل الوحيد الذي يضمن لها عدم التحول إلى أصنام و أوثان، و إن أي نظرية، فتوى، تشريع، أو حديث لا يقبله العقل هو مصدر محلل للنقد و السخريّة تحت سلطان العقل البشري.

و لذلك ففتوى إرضاع الصراصير ليست بمستهجنة البتة إذا ما قورنت بفتوى إرضاع الكبير، أو غيرها من الفتاوى التي تكفّر المختلف، و تلعن صاحب العقل.

الجمر النائم، العقول المغسولة و التي تغسل يوميا هي الخطر المحدق الذي يجب علينا أن ننتبه إليه، قبل أن نفكر كيف سنستنهض الهمم لاستعادة(كرامتنا) و أرضنا.. وليست الفتاوى التي تطلق في خطب الجمعة سوى غيض من فيض ما يجب على الدول العربية مراقبته، بدلا عن مراقبة الأعمال الأدبيّة، و السياسيّة...

أي عقل يقبل الفتاوى الرافضة للآخر يجب عليه أن ينادي بإرضاع الصراصير قبل الكبير..تحت القاعدة (الزياديّة) المشهورة :

(أنا مش كافر ..بس الجوع كافر)..سواء كان هذا الجوع جنسي، أو عقلي، أو حتى (صرصاري).

الجزء الأول

ملخص
القرآن مصدر تاريخي فريد، من حيث أنه مثّل بشكل دائم وواضح استجابة لوضع محمد خلال العشرين سنة الأخيرة (أو قريباً من ذلك) من حياته. إلا أنه من الصعب تماماً تفسير ذلك بأن القرآن هو مصدر تاريخي، وخاصة لفترة ما قبل الهجرة (٦٢٢م)، ذلك أنّنا لا نملك إلا تواريخ قليلة معتمدة، إضافة إلى أن النص الحالي لم يُرتب ترتيباً كرونولوجياً. ومهما يكن، إنه من الممكن إعادة صوغ الخطوط الرئيسية لمنحى تطور العقائد القرآنية الرئيسية والتعاليم الأخرى، لكن فقط بتطبيق المناهج النقدية ومعالجة مقتطفات أو آيات بعينها أكثر منه السور بأكملها. تبرهن الدراسة الحالية أن عقيدة «التوحيد» المركزية للمسلم بالله، قد ظهرت وتطورت بنحو تدريجي في القرآن. لم يكن ربُّ محمد في البداية يحمل اسماً محدداً، ثم بعد ذلك تماثل مع الإله العربي العلوي، «الله»، بعد فترة وجيزة، كما يظهر، في الوقت الذي كان فيه اسم الرحمن هو المفضل، ثم وأخيراً تمّ الاعتراف به كـ إله اليهود والمسيحيين. وبالتوازي مع هذا التطور، يمكن أن نرى مراحل عدة في الاستقطاب التدريجي لقوى ماورائية أخرى، تبدأ بالتسليم بالمفاهيم العربية القديمة للآلهة الأخرى والجن، وتنتهي بالمفهوم الأساسي لليهو-ميسحي عن الإله الواحد وملائكته والشيطان. وصحيح أنه لا يمكن إعطاء تواريخ دقيقة لهذه المراحل، إلا أن الخطوط الرئيسية لهذا التطور واضحة إلى حدّ ما. تنحو هذه الدراسة لتأييد النتائج الرئيسية لـ ريتشارد بل Richard Bell في الترتيب الكرونولوجي للقرآن، كما تزيد من حدة الشك بشأن التأريخ التراثيّ الإسلاميّ والترتيب الأوربي العام لمدرسة فايل Weil ونولدكه Noldeke وبلاشير Blachere.

ولكون عقيدة «وحدانيّة الله(٢)» مسيطرة بشكل كبير في القرآن، فإنه من السهل تجاوز حقيقة أن هذه الموضوعة لا تظهر في «النصوص الأولى أو المبكرة للوحي Earliest Revelations»(٣)، والتي هي ملفتة، ليس من أجل ما تقوله عن الله وعلاقته بالكائنات العلوية الأخرى والأرواح، وإنما لما لم تقله. إنّ تحليلاً شاملاً للسياقات القرآنية في ورود الله والآلهة الأخرى، وكائنات العالم «الدنيا» (من ملائكة وجنّ وشياطين ...الخ)، يظهر تطوراً واضحاً وحقيقياً للأفكار أو التعاليم في القرآن. وهذه الدراسة الحالية لن تدرس بعض المظاهر المهمة الكبيرة لتعاليم القرآن حول الله، مثل طبيعته وصفاته وعلاقته بالإنسان؛ بدلاً من ذلك، ستركز الدراسة بداية على مسألة هويته، متضمنة بذلك التطور المبكر بخصوص التحديدات القرآنية لـ رب محمد، ومن ثم قوة ووجود الكائنات العلوية الأخرى وعلاقتها بالله، كما صُوّر ذلك في القرآن.

أسماء وهوية رب محمد

لم يُطلق اسم الله على الشخصية في النصوص الأولى للوحي التي وجهت للسامعين لكي يعبدوه، ولكن أشير إليه ببساطة بـ رب (أو إله) في تعابير مثل «ربك، ربكم»، و«ربه»...الخ. ومثال هذه الاستخدامات المبكرة ما ورد في بداية سورة [الأعلى ٨٧]: «سبح اسم ربك الأعلى... سنقرئك (رب محمد) فلا تنسى». إنّ غياب اسم الله من النصوص التي تؤرخ في بداية دعوة محمد العامة ملفت، كما نرى في الآيات الخمس الأولى من سورة [العلق ٩٦]: «اقرأ باسم ربك...»، وفي الآيات السبع الأولى من سورة [المدثر ٧٤] التي تبدأ: «يا أيها المدثر، قم فأنذر، ولربك فكبر»(٤). وهكذا، فإن مصطلح «رب» يظهر في الآيات الأولى للقرآن كمصطلح عام أساسي لـ «إله» أو«الإله» لشخص أو أناس محددين. وقد استمر هذا الاصطلاح بالورود حتى في آيات الوحي المتأخرة

مع المعنى العام الأساسي بوضوح أكثر ربما في سياقات معينة حيث ترد لفظة الجمع «أرباب»، كما في السياق اللاحق للقرآن [يوسف ١٢: ٣٩] (أواخر المكي أو أوائل المدني)، حيث يقول يوسف لأصحابه السجناء: «أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار؟».

ثم وفي لاحق، بعد بداية الدعوة العامة [تسمّى في كتب التراث: الدعوة جهراً. م]، ربما خلال سنة (أو من المرجح لاحقاً أكثر قليلاً) وقت تشريع الصلاة، دُعي رب محمد بـ «الرحمن». ففي سورة [الفرقان ٢٥: ٦٠] يُدعى المكيون للسجود للرحمن: «وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن، قالوا وما الرحمن، أنسجد لما تأمرنا؟». وثمة إشارة أخرى بأن المكيين لم يعرفوا أو لم يؤمنوا بالرحمن في سورة: [الرعد ١٣: ٣٠]: «..وهم يكفرون بالرحمن، قل [أي محمد] هو ربي لا إله إلا هو(٥) عليه توكلت وإليه متاب». كما يظهر اسم الرحمن بشكل متكرر في سورة [مريم ١٩]، الأجزاء المبكرة منها تعود للفترة هذه نفسها. أما السورة رقم [٥٥] المعنونة بـ «الرحمن» تبدأ: «الرحمن علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان...»، ثم تستمر السورة وكأنها دعاء طويل تعيد ذكر الفضائل الممنوحة لـ «الإنس والجن» بواسطة ربهم: الرحمن(٦).

إنه في هذا الوقت، بدأ يدعى رب محمد في آيات الوحي تحت اسم «الله»(٧). وقد كان هذا الاسم مألوفاً للمكيين ولم يعترضوا عليه. إنّ كلا الاصطلاحين «الرحمن» و«الله» دخلا سياق القرآن كـ اسمي عَلَم، وكلاهما عُرفا كـ اسمي للآلهة من خلال النقوش قبل زمن محمد. ولوقت قصير، وبعد دخولهما القرآن، لا بدّ أنهما قد أحدثا بعض التخبط [الفكري. م] عند المسلمين، ذلك أنّ الآية من سورة [الإسراء ١٧: ١١٠] من الواضح أنها قد أشارت إلى تلك المرحلة التاريخية عندما قررت أنّ أيّاً من الاسمين هو مقبول: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بصلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً». يُظهر التأكيد الأخير، أنّ المشكلة في استخدام أيّ من الاسمين، قد نشأ في سياق عملية مأسسة الصلاة الشعائريّة. وفي وقت قصير لاحق، وبفترة سريعة كما يظهر، توقف استخدام اسم الرحمن في الوحي اللاحق، رغم وروده بشكل نادر، كـ صفة إلهية، إضافة إلى وجوده في البسملة، التي تعود على الأرجح بعد وقت قصر من آية [الإسراء ١٧: ١١٠] (الآنفة الذكر)؛ وبالتالي لم تكن غائبة عن أجواء الإشكال التاريخي المشار إليه في هذه الآية: [الإسراء ١٧: ١١٠(

وهكذا، أصبح اسم الله بعد ذلك مقبولاً، والاسمَ المفضل للإشارة إلى رب محمد كما ورد في عدد كثير من النصوص القرآنية مثل الآية: «قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ... قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» [الرعد ١٣: ١٦]؛ وأيضاً الآية: «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ والأرض قُلِ اللَّهُ» [سبأ ٣٤: ٢٤]. وبالتالي، إنّ محمداً وأتباعه تعلموا كيفية استخدام اسم الله. وربما كان ذلك نتيجة لمسألة الأسماء وتقرير الآية: «فَلَهُ [أي لله.م] الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» [الإسراء ١٧: ١١٠]، و الآية: [طه ٢٠: ٨]، حيث بدأت كثير من الألقاب تظهر في القرآن لتشير إلى صفات الله.

القول أنّ الوثنيين المكيين كانوا يعلمون مسبقاً الله ومقرين بوجوده ودوره كخالق، قول أكدته عدة نصوص في القرآن مثل: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ [يا محمد] مَنْ خَلَقَهُمْ [أي الوثنيين] لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» [الزخرف ٤٣: ٨٧]، وأيضاً: «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأرض أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ والأبصار وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمر فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أفلا تَتَّقُونَ» [يونس ١٠: ٣١](٩). ويمكن قراءة

صورة أوضح بعض الشيء لاعتقاد المكيين حول الله في آية: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ» [يوسف ١٢: ١٠٦]، وفي سياقات مثل: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» [العنكبوت٢٩: ٦٥](١٠). لقد آمن الوثنيون المكيون بـ الله كـ «آلهة عليا»، لكنهم فعلياً عبدوا آلهة أخرى «أدنى مرتبة»، والذين اعتقدوا فيهم أنهم يتوسطون مع الله نيابة عنهم(١١). وهذا ما هو مقرر بنحو واضح في الآية: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ ولا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ» [يونس١٠: ١٨]. وكون أنّ المكيين كانوا يؤمنون مسبقاً بوجود وقوة الله، فقد كانت مهمة محمد أن يرشدهم لعبادة (والإيمان بـ) الله وحده؛ أي ليقنعهم للتوقف عن عبادة الآلهة الأخرى. لكن ماذا كان موقف القرآن تجاه وجود وقوة تلك الآلهة؟

قوة ووجود الآلهة الأخرى «غير الله»

تزود الكثير من النصوص القرآنية معلومات مفيدة وتاريخية عن اعتقادات المكيين الوثنيين وتعالج مسألة آلهتهم. وفي الرد على تلك الاعتقادات، يشير القرآن، بعض الأحيان بنحو واضح وفي أحيان أخرى بإشارات ضمنية، عن موقفه الخاص في معالجة وجود وقوة هذه الآلهة. فبداية الآية [يونس١٠: ١٨] التي تشير إلى أنّ آلهتهم تتوسط مع الله نيابة عن الذين يعبدونهم، قد أشرنا إليها أعلاه. وتستمر تلك الآية: «قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ ولا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ». جدال القرآن هنا ليس حول عدم وجود آلهة أخرى، أو عدم وجود قوة لهم، بل أن الله هو فوقهم وأعلاهم، وهو مسبقاً يعلم كل شيء؛ لذا، الله ليس بحاجة أن يتعلم من الآخرين. الموضوعة نفسها نقرأها: «وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ والأرض وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ/ ولا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إلا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» [الزخرف ٤٣: ٨٥-٨٦]. لا تدعي الجملة الأخيرة من هاتين الآيتين فقط، وجود الآلهة المكية، بل تؤكد على الأقل إمكانية قيامهم بالشفاعة [الوساطة.م]. وهذا ما يظهر أيضاً في الآيات: [يونس١٠: ٣] و[طه٢٠: ١٠٩] و[الأنبياء٢١: ٢٨] و[النجم ٥٣: ٢٦] وأيضاً كما سنقرأ: «قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ ولا فِي الأرض وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ/ ولا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ...» [سبأ٣٤: ٢٢-٢٣]. إنّ وجود الآلهة الأخرى كما هو واضح من هذه النصوص هو مقرر أو مُدعى؛ وقد صُوروا أنهم يملكون، على الأقل إمكانية القوة للتأثير على حياة الناس ومصائرهم.

وفيما يتعلق بسياقات الشفاعة هذه، هناك مجموعة من النصوص ترد فيها الآلهة المنكرة التي ستظهر في اليوم الآخر وتستنكر على الناس الذين عبدوهم. ثمة مثال قصير لكنه واضح هو الآية: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا/ كلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا» [مريم ١٩: ٨١-٨٢]. الصورة هذه نفسها وردت بنحو أكثر وضوحاً في [يونس١٠: ٢٨- ٢٩] حينما يقول الله: «وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ/ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ». ثم تكمل الآيات [الصافات ٣٧: ٢٢-٢٣ وما بعدهما] باستنكار الآلهة المنكرة لجهنم: «[يُخبر الملائكة حرّاس جهنم] احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ/ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ». لا يجب أن تفسر النصوص الدراماتيكية هذه، بالطبع بنحو حرفي، كما لو أنهم يخبرون بحوادث فعلية في المستقبل؛ لكن لا يمكن إنكار أنّ هذه الآيات تصور الآلهة المنكرة وجودَها وبأنها ثانوية بالنسبة إلى الله.

إنّ التأكيد على وجود الآلهة المكية و ثانويتها، وردت بنحو أوضح في نصوص مكية محدودة لاحقة(١٢)، حيث يروى أن الآلهة الأخرى من دون الله، قد خُلقت بواسطته لكنّ عجزهم قد أُكد عليه الآن (في هذه المرحلة التاريخية.م) كما في: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ولا يَمْلِكُونَ لأنفسهم ضَرًّا ولا نَفْعًا ولا يَمْلِكُونَ مَوْتًا ولا حَيَاةً ولا نُشُورًا» [الفرقان٢٥: ٣ وما بعدها]، وفي الآيات [الأعراف٧: ١٩١-١٩٧]، والتي لا بد أنّ محمداً هو «المتكلّم» فيها، فيتحدى الوثنيين بجرأة، ويرد عليهم بشعور قوي لأن يتخلوا عن آلهتهم؛ والمواضيع هذه نفسها قد كُررت، والآلهة هذه ورد أنها هي نفسها «عبيد» لله: «أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ/ ولا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ولا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ... إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ/ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ يكيدون فلا تُنْظِرُونِ/ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ/ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ ولا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ». إنّ موقف القرآن في تأكيده للآلهة الأخرى غير الله، في الوقت الذي أوحي فيه أولاً هذا المقطع (تقريباً في السنوات المكية اللاحقة)، جليٌّ بشكل تام. فالقول أنّ هذه الآلهة ضعيفة وعاجزة، قول قد أُكد عليه بنحو ثابت، إلا أنّ «وجودهم» لم يُنكر. بل على العكس، فلو أُخذت هذه الآيات حرفياً، لتبين التأكيد على «وجود» آلهة أخرى غير الله. لكن ما هي طبيعتهم؟ وما هي كيفية ارتباطهم بـ الله؟

الآلهة كـ «بنات الله»، الملائكة والجنّ:

بعد اعتراف القرآن بوجود آلهة عربية، حدثت سلسلة من التطورات البارزة تتناول تصويره لهوية هذه الآلهة وعلاقتهم بالله والمخلوقات العلوية الأخرى. إنّ القيام بإعادة ضبط وصياغة هذا التطور المهم من الأفكار، عمليةٌ معقدة مع حقيقة أنّ عدة من السياقات الرئيسية قد عُدّلت أو توسعت؛ كما أنّ التنقيحات المختلفة التي تناولت نص القرآن تأريخها صعب. يصح هذا، خاصة للسياق الواسع (خمسة عشر آية) لسورة [النجم ٥٣]، التي تحتوي الورود الوحيد للأسماء الثلاثة للآلهة العربية والتي عبدت في المنطقة القريبة والمحيطة بمكة. تكشف آيات [١٩ إلى ٢٢] في السياق المباشر، الذي تظهر فيه الأسماء، المرحلة الأولى للقرآن في الهجوم على معتقدات المكيين حول آلهتهم: «أَفَرَأَيْتُمُ اللات وَالْعُزَّى/ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى/ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى/ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى»(١٣). يتوضح هذا الجدال المهم والغامض أكثر في [الزخرف ٤٣: ١٦-١٧]: «أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ/ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مثلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ»؛ وفي الآيات [١٤٩- ١٥٧ من سورة الصافات٣٧] (باستثناء آية ١٥٠، وهي إضافة لاحقة) التي تبدأ: «فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ... ألا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ/ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ/ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ». ولا بد أن نتذكر أنّ هذا الجدال كان موجهاً لمعاصري محمد، والذين عبدوا فعلاً آلهة أنثى، وقد اعتبروهم «بنات الله»، وليس من شك أنّ نقطة الجدال، اعتبارهم هكذا (أي إذا كان لله نسل، فلا بدّ أن يكونوا أولاداً ذكوراً وليس بنات)، بسبب سياقهم الاجتماعي والثقافي، كانت مقنعة أكثر في أيامهم مما تُقرأ اليوم. وفحوى هذا الجدال هو إنكار أنّ الآلهة العربية هي متصلة بالله كـ «بنات» له، أي كمخلوقات من نفس الطبيعة، رغم أنهم أدنى مرتبة شيئاً ما(١٤).

والآن، إذا كان قد اعتُرف بوجود هذه الكائنات التي عُبدت من قبل المكيين، وإذا كانت هذه الكائنات ليست آلهة من نفس مستوى ألوهة الله، ما هي إذن طبيعتهم؟ يحتوي هذا التساؤل على واحدة من النقاط الرئيسية

لعدد من نصوص القرآن، تتضمن الإضافات اللاحقة للسياقات الثلاثة التي رويت آنفاً. ليست القضية المركزية في الآيات [النجم٥٣: ٢٦-٢٨] هي الشفاعة (رغم التوضيح المهم حول هذه النقطة في هذا السياق)، بل طبيعة الآلهة المكية: «وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى/ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخرة لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأنثى». لقد أصبحت فكرة «تسمية» الآلهة مهمة في النصوص اللاحقة كما سيتبين معنا أدناه. فاعتبار أن هذه «الملائكة» هي بالفعل الآلهة المكية، أمر يمكن قراءته بوضوح في السياق الموازي: «وَجَعَلُوا الملائكة الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ/ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إلا يَخْرُصُونَ» [الزخرف٤٣: ١٩-٢٠]. يمكن قراءة معنى السؤال الخطابي (الجدالي/ البلاغي.م) «أشهدوا خلقهم؟» في سياق آخر أكثر وضوحاً: «أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ» [الصافات ٣٧: ١٥٠] كما لو أنهم يشهدون ولادة طفل ويستطيعون إدراك ما إذا كان ذكراً أم أنثى. تُقدّم هذه النصوص عنصراً جديداً للجدال القرآني ضد معتقدات المكيين: أنّ الكائنات التي عُبدت من قبل الوثنيين هم حقيقة ملائكة. لكن، هذا لا يعني أن المكيين كانوا يعتقدون أنهم يعبدون ملائكة؛ بل على العكس، إنّ تعريف هوية الآلهة (الأنثى.م) العربية (بمطابقتها) مع الملائكة هو تطور قرآني(١٥). وليس ثمة دليل يظهر أنّ المكيين قد قبلوا على الإطلاق هذا التفسير بتعريف هوية آلهتهم الذكر والأنثى. ويساعدنا استخدام الاسم الإلهي، الرحمن، في النص الوارد أعلاه من سورة [الزخرف٤٣] لتأريخ هذا التطور القرآني خلال منتصف سنوات الفترة المكية لرسالة محمد. وتبتغي الإشارة أنه ومع تعريف القرآن للآلهة العربية الأنثى العربية كـ ملائكة، قد استمر في تأكيد وجودهم.

يمكن قراءة المرحلة التالية من تطور القرآن في تصوير طبيعة الآلهة الأخرى غير الله في الفترة المكية اللاحقة في مشهد الحساب (اليوم الآخر.م) [سبأ٣٤: ٤٠-٤٢]، حيث يُساءل فيه ملائكة محددون بخصوص عبادة الوثنيين لهم: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا (أي كل الناس مع الذين عبدوهم(١٦)) ثُمَّ يَقُولُ للملائكة أهؤلاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ/ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ/ فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا ولا ضَرًّا(١٧)». إنّ إنذار أعداء محمد بأن آلهتهم لن يستطيعوا مساعدتهم في يوم الحساب، هو نفسه موضوع سياق قرآني آخر، حيث آلهة محددون هم ليسوا سوى «جن» [الصافات٣٧: ١٥٨-١٦٦]؛ يبدأ النص: «وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا(١٨) وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ/ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ(١٩)». ينتهي هذا المقطع من القرآن بثلاث آيات على لسان الملائكة: «وَمَا مِنَّا إلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ/ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ/ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ». وينبغي مقارنة السياقين الاثنين لسورتي [سبأ٣٤] وسورة [الصافات ٣٧]، مع [الأنعام٦: ١٠٠]، هذه الآية التي تُعتبر لاحقة قليلاً ودقيقة أكثر، والتي تُقرر نفس النقطة: «وَجَعَلُوا (أي الوثنيون) لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ».

وإذا لم يتبين للقارئ بنحو مباشر أنّ هذه النصوص الثلاثة تصور آلهة محدد كـ جنّ، فإنّ حقيقة ذلك تتبين من خلال دراسة دقيقة للسياقات القرآنية واستخدامه لاصطلاحاته الرئيسية. فدلالة الاصطلاح «أشرك» (الوارد في [الأنعام٦: ١٠٠]) أنها تعني وتدل على الآلهة (أو «إشراك آلهة») واضحة تماماً حينما نقارن هذه الآية مع استخدام الاصطلاح نفسه في [الأنعام٦: ٢٢، و٩٤، و١٣٦] وفي سياقات عديدة حيثما يرد هذا الاصطلاح.

أما الاصطلاح «نَسَب» الوارد في [الصافات٣٧: ١٥٨]، فأنه يعني: «العلاقة العائلية (نسب دموي.م)» أو «العلاقة

النسليّة»(٢٠)، ويجب أن يفسر بكونه موازٍ أو مساوٍ لـ «البنين والبنات» في آية [الأنعام٦: ١٠٠]، وبالتالي يجب أن تكون الإشارة أو الدلالة مرجحة مع «بنات الله»: «اللات، والعزى، ومناة»، هذه الأسماء التي أُشير إليها في [النجم٥٣: ١٩ وما بعدها]، ومن المحتمل مع آلهة عربية أخرى أُشير إليها في [الصافات٣٧: ١٥٨]. ويُظهر التعبير «إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ» الوارد مرتين (المرة الأخرى بنفس المعنى «كَانُوا يَعْبُدُونَ».م) في [سبأ٣٤: ٤٠ وما بعدها] أنّ هذه الآيات كانت منصبة ومعنية بهوية آلهة محددين؛ كما أنّ حقيقة أنّ «الملائكة» هنا يميزون بين أنفسهم وبين «الجن» تدل على أنّ هؤلاء هم طبقتين منفصلتين، وبالتالي لا يسمح هذا بالتفسير أنّ الجن هنا هم ببساطة اصطلاح عام لـ «الأرواح» وبأنهم يتضمنون الملائكة. النصوص الثلاثة هذه كلها تشير بوضوح إلى المكيين أو الوثنيين العرب وآلهتهم. ومن المهم الإشارة إلى أنّ هذه الآلهة التي «تدنت مرتبتها» في النصوص القرآنية المبكرة إلى مستوى الملائكة، قد تدنت الآن إلى مستوى أدنى، مستوى «الجنّ»(٢١). وبالتالي، إنّ التأكيد الأخير في [الأنعام٦: ١٠٠] (الآية واردة أعلاه) يمكن تفسيره: «الله أعظم (أو أعلى) من كلّ ما يشركون معه» أو على العكس: «ما يشركون معه هم أدنى منه». ومرة ثانية، يجب تسجيل ملاحظة، أنه بالرغم من أهمية هذه المخلوقات الإلهية التي استمر التأكيد عليها، فهذه الآيات استمرت في التأكيد القرآني حول وجود الآلهة العربية غير الله، كما هو الأمر بخصوص الملائكة والجن حينما ذكرهم القرآن مثلاً: «وَخَلَقَهُمْ» [الأنعام٦: ١٠٠]. لكن هل هذا هو موقف القرآن النهائي في اعتبار وتناول هذه المخلوقات الإلهية وعلاقتهم بـ الله؟

واحديّة الله وعدم وجود الآلهة الأخرى:

لقد تطور بنحو تدريجي ما يمكن اعتباره «الموقف النهائي» للقرآن بخصوص «الله والمخلوقات الإلهية الأخرى» في الأجزاء-الآيات الأخيرة واللاحقة المكية وأوائل الآيات المدنية، حيث تطورت عدة تغيرات بخصوص موضوعة «الله واحد/أحد» ونفيها «لا إله إلا الله»، وذلك جنباً إلى جنب مع التعديلات المهمة لرؤية القرآن في تناوله وجود وقوة العناصر الروحية المتواجدة في العالم. ويمكن إجمال هذه السلسلة المعقدة من التطورات المتداخلة مع بعضها والتي تعقدت لاحقاً مع صعوبة تأريخ السياقات الرئيسية أو حتى تحديد ترتيبهم الكرونولوجي، بإمكان إجمال ذلك بنحو مختصر من خلال كنف الدراسة الحالية.

لقد بدأ القرآن في فترة ما في السنوات اللاحقة لـ «الفترة المكية» في تأكيد أنّ أياً ما يُعبد كمخلوق إلهي غير الله لا يمتلك وجوداً حقيقياً. وهذا ما هو واضح من خلال الدلالة الواضحة للتقرير القرآني أنّ ما عُبد من قبل الوثنيين «ليسوا سوى أسماء»، وقد ورد ذلك في [يوسف١٢: ٣٩ وما بعدها] وآية [النجم ٥٣: ٢٣]، وكلا هاتين الآيتين يبدوان أنهما إضافة لاحقة خلال سياقهم الحالي. ويبدو أنّ الآية الثانية ([النجم ٥٣: ٢٣]) أتت بعد الورود الوحيد للأسماء، اللات والعزى ومناة: «إِنْ هِيَ إلا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ». ويقرر السياق المماثل بنحو أوضح في [يوسف١٢: ٣٩ وما بعدها]، التي يكون يوسف فيها هو المتكلم حينما كان في السجن: «يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ/ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إلا لِلَّهِ أَمَرَ ألا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ». وبلغة أخرى مختلفة نوعاً ما، الموضوعة هذه نفسها سيُؤكد عليها في [غافر٤٠: ٧٤] أثناء مشاهد الحساب والعقاب، حيث يُجرّ الكافرون إلى جهنم ومن ثم يُسألون: «ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ/ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، فتأتي الإجابة من المدانين/ الملعونين: «قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا». أي أنّ الكافرين المشئومين سيعلمون الآن، أنّ الآلهة التي كانوا يعبدونها لم يكن لها من وجود. هذه النقطة هي نفسها أيضاً

موضوع سياقات القرآن مثل قصة إبراهيم في تدميره الأصنام لبني قومه في سورة [الأنبياء٢١: ٥١- ٧٣] و سورة [الصافات٣٧: ٨٣-٩٨] التي يُعنف فيها الوثنيون لعبادتهم أشياء من صنع ونحت أيديهم أنفسهم. وبالتالي، القرآن يرفض هنا الاعتقاد أنّ الأصنام لها قوة إلهية، واعتقاد أنها وسائل مساعدات مرئية تشير إلى ما وراء أنفسهم، حقيقياً أو روحياً، أو موجودات إلهية.

لقد توضح ما هو معني ضمنياً في هذه النصوص بنحو واضح في أوقات كثير في سياق النصوص المكية اللاحقة والمدنية كذلك: «ولا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا إِلَهَ إلا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ» [القصص ٢٨: ٨٨] و«ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَهَ إلا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» [غافر٤٠: ٦٢]. يظهر إعلان «لا إله إلا هو» الذي يظهر بحالات ضمائر أخرى، وحالات أو أمثلة ثلاثة يظهر فيها اسم الله (آل عمران٣: ٦٢؛ و الصافات٣٧: ٣٥؛ وسورة محمد٤٧: ١٩، ما يعني أنّ هذا الإعلان يتماثل مع الجزء الأول من الشهادة)، ترد تقريباً نحو أربعين مرة في القرآن. تغيرات عديدة أخرى أيضاً تنحو نحو التأكيد نفسه مثل: «وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ» في سورة [المائدة٥: ٧٣]، و «يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ» في سورة [الأعراف٧: ٥٩]، وثماني مرات في سُوَر [الأعراف٧] و[هود١١] و[المؤمنون٢٣]. وثمة تعبير قرآني آخر يفيد نفس المعنى: «إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ» [النساء٤: ١٧١] مع تغيرات كذلك في سورة [الأنعام٦: ١٩] التي جاء فيها: «هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ» وفي سورة [إبراهيم١٤: ٥٢] وفي سورة [النحل١٦: ٥١] (يرد التعبير «هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ» في السورتين الأخيرتين نفسه.م). أما التعبير «إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» فيرد في [النحل١٦: ٢٢] وكذا في [الكهف١٨: ١١٠] و في [الأنبياء٢١: ١٠٨] وفي [الحج٢٢: ٣٤] وفي [فصلت٤١: ٦] (أيضاً التعبير«إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ» يرد نفسه في السُّوَر الأخيرة.م). بينما التعبير: «هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ» فيرد في [الزمر٣٩: ٤] وفي مواضع قليلة أخرى كذلك.

كما يرد تعبير «الواحد» (كما هو مبين في المثال الأخير) في: [يوسف١٢: ٣٩] و [الرعد١٣: ١٦] و[إبراهيم١٤: ٤٨] و[ص٣٨: ٦٥] و[غافر٤٠: ١٦]. وهذا التعبير ما هو إلا واحد من بين «الأسماء الحسنى» (انظر: [الأعراف٧: ١٨٠] و[الإسراء١٧: ١١٠] و[طه٢٠: ٨] و[الحشر٥٩: ٢٤]) والذي يظهر بنحو متكرر في الأجزاء القرآنية المكية اللاحقة والمدنية (وبخاصة في الفترة المدينة المبكرة). وإحدى أكثر القوائم إثارة التي ترد فيها أسماؤه نقرأها في الآيتين الأخيرتين من سورة [الحشر٥٩: ٢٣ وما بعدها]: « هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ/ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ». يتداخل هذا الإعلاء في تصوير قوة وعظمة الله، يتداخل مباشرة مع التزايد على تأكيد «واحديّة» الله ونفي وجود الآلهة الأخرى؛ لذا فإنّ أيّاً من الخاصيات والسمات التي يسعى إليها الوثنيون من خلال آلهتهم المختلفة، فإنها -أي خاصيات الآلهة.م- تجتمع الآن في الله وحده فقط. إنّ التوحيد القوي الذي تمّ تصويره بنحو شديد في الوحي المكي اللاحق الأخير، وكذا المدني، له نتيجة ولازمة أخرى عميقة (لكن إلى الآن لم تدرس بنحو كبير) وهي: التعديل والاستقطاب في التصوير القرآني للمخلوقات الإلهية الأخرى، أي: الملائكة والجن والعفاريت والشيطان وإبليس وحاشيته.

إنّ الاعتقاد العربي القديم بالجنّ، هؤلاء المخلوقات الظليلة، الأرواح الخفية، الذين يشابهون البشر، بكونهم منهم الخيّرون ومنهم الأشرار، تمّ تأكيده في الأجزاء المكّية من القرآن، حيث يرد اصطلاح الجنّ ومشتقاته المتصلة به نحو ثمانية وأربعين مرة. وقد ورد اصطلاح «الجنّ والإنس» وأيضاً «الجِنّة والناس(٢٢)» وسياقات أخرى قليلة يرد فيها ذكر المجموعتين سوياً، نحو عشرين مرة؛ أما مفهوم «استحواذ الجنّ» الذي يتخلله

اصطلاح «مجنون» والتعبير المرادف «به جِنّةٌ» فقد ورد ستة عشر مرة. وإضافة إلى هذين الاستخدامين الأساسين والسياقات التي نوقشت أعلاه، حيث قيل فيها عن آلهة عربية محددة أنها «جنّ» ([سبأ٣٤: ٤٠-٤٢] و[الصافات٣٧: ١٥٨-١٦٦] و[الأنعام٦: ١٠٠])/ فإنّ الجنّ ورد ذكرهم في السياقات التالية:

- (١) في سورة [الحجر١٥: ٢٧] و[الرحمن٥٥: ١٥] التي ذكر فيهما أنّهم قد خلقوا من نار.

- (٢) في سورة [الكهف١٨: ٥٠] التي ذكر فيها إبليس بأنه واحد من الجن.

- (٣) في سورتي [الأحقاف٤٦: ٢٩] و[الجن٧٢: ١] اللتين أشارتا إلى أنّ بعضاً من الجنّ تحوّلوا إلى مؤمنين بعد سماعهم تلاوة القرآن.

- (٤) في سورتي [النمل٢٧: ٣٩] و[سبأ٣٤: ١٢-١٤] حيث يعمل هنا الجنّ كـ عبيد أو خدم لسليمان.

وبالرغم أنّ الكلام عن الجنّ في سورة [الجن٧٢: ٨ وما بعدها] حيث لا يرد فيها اصطلاح الجنّ، فإنها تقرّر أنهم شركاء في رؤية «أسطورة الشهاب» (يشير ولش إلى الآيتين: «وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا/ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا»[الجن٧٢: ٨-٩].م). وطبقاً للتأريخ الإسلامي التراثي وأيضاً لـ مدرسة نولدكه وفايل وبلاشير، كل الآيات الثمانية والأربعين تنتمي إلى السياقات المكية، في حين أنّ بل (ريتشارد.م) يعتبر أنّ [سبأ٣٤: أية ٤١] (نوقشت أعلاه) و[الأنعام٦: آية ١١٢] أنهما من المحتمل من الآيات المدنية الأوائل. وبغضّ النظر عن الترتيب التأريخ/ المتبع، فإنّه من الواضح منذ فترة تغيير القبلة ومعركة بدر، أنّ اصطلاح الجنّ قد توقّف وروده في وحي القرآن اللاحق. لماذا؟ إنّ مصير الجن وأدوارهم المختلفة في القرآن إضافة إلى أهميتهم المقصودة في اعتقاد المسلم، يمكن فهم ذلك ربما فقط في ضوء التأكيدات القرآنية حول أطراف ومخلوقات العالم الروحيّ.

وبحسب مصيرهم وأدوارهم في القرآن، فإنّ الجنّ يتصلون بنحو شديد الشياطين. والاصطلاح الأخير (جمع شيطان) الذي يعني «Satan» حينما يرد مع أداة تعريف، فإنه ورد في القرآن ثمانية عشر مرة:

- (١) في سورتي [الأنبياء٢١: ٨٢] و[ص٣٨: ٣٧]، حيث تعمل الشياطين كخدم وعبيد لسليمان.

- (٢) في سورة [الملك٦٧: ٥] (الشهاب الثاقب).

- (٣) في سورة [الأنعام٦: ٧١] كـ تفسير للجنون.

- (٤) في سورتي [المؤمنون٢٣: ٩٧] و[الشعراء٢٦: ٢١٠ وآية ٢٢١] بخصوص العلاقة مع وحي محمد (والآيتان الأخيرتان هما ردّ على اتهامات أعداء محمد بأنه يتلقى الوحي من الشياطين).

- (٥) سور [الأعراف٧: ٢٧ وآية ٣٠] و[الأعـراف١٧: ٢٧] و[مريم١٩: ٦٨ وآية ٨٣] التي تتعلق في الإغواء والعقاب على الذنوب.

- (٦) سورة الصافات [الصافات٣٧: ٦٥] التي يرد فيها اسم الشيطان كاستخدام اصطلاحي.

- (٧) في سورة [البقرة٢: ١٤ وآية ١٠٢] (مرتين) وسورة [الأنعام٦: ١١٢ وآية ١٢١] اللتين تشيران إلى «أعداء محمد البشريين».

وكما يظهر من الأصناف الأولى الأربعة للشياطين، فإنّ طبيعتهم ودورهم، متماثل مع الجن التي ترد في سياقات متوازية أو متصلة في القرآن. بينما في الصنف الخامس يمكن اعتبارهم أيضاً جنّاً، أي كـ «جنّ عدوّ/ جنّ شرّير» الذي يرد في [الأنعام٦: ١١٢]، حيث الشيطان هنا ينطبق صراحة على البشر والجنّ: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ».

إنّ العلاقة بين اصطلاحي الجنّ والشيطان في القرآن علاقة واضحة وجلية. فالسياقات التي ترد فيها هذه الأرواح العفريتية بكونها عدوّة، ومؤذية أو كافرة، فإنّ الاصطلاحين مترادفان ومتبادلا الأدوار(٢٣). ومع ذلك، ثمة اختلافات مهمة في الاستخدام القرآني للاصطلاحين: «الشيطان» دائماً يحمل في القرآن دلالة العداء والشر والكفر؛ وفي استخدامه اللاحق، في السياق المدني المبكر، فإنه يشير بوضوح إلى أعداء محمد البشريين، وعلى الأرجح اليهود؛ بينما اصطلاح «الجن» من جهة ثانية، فإنه يرد بعض الأحيان بكونهم مؤمنون، ولم يطبق هذا الاصطلاح أبداً في القرآن على أعداء محمد من البشر. التماثل الفاقع للاصطلاحين في استخدام القرآن لهما، أنهما أسقطا من القرآن أو توقف ذكرهما في الوحي اللاحق بنفس الوقت، ما بين الهجرة (هجرة محمد إلى يثرب.م) وما بين معركة بدر.

وفي هذه الفترة أيضاً حدث تطور مساوٍ (رغم أنه مغاير تماماً) في تصوير القرآن لطبيعة ودور الملائكة، وخاصة في علاقتهم مع البشر. من المهم تسجيل أنّ المخلوقات الإلهية، التي دُعيت في أحيان خاصة بـ «الملائكة»، وفي أحيان أخرى بمصطلحات أخرى، لم ترد في بدايات الوحي القرآني. أما في الأجزاء الأخيرة من الفترة المكية وأوائل الفترة المدنية جداً حيث بدأت تظهر لفظة الملائكة بنحو واضح، وذلك، كما هو في السياقات التالية:

- (١) في المشاهد العلويّة حيث يحيطون بعرش الله، أو يحملونه، وهم يسبحون بحمده؛ وفي سياق قرآني «يطلبون العفو لمن هم على الأرض /وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ» ([الشورى٤٢: ٥] وأيضاً [الزمر٣٩: ٧٥] و[الحاقة٦٩: ١٧] و[الأعراف٧: ٢٠٦] و[الأنبياء٢١: ١٩ وما بعدها] و[الصافات٣٧: ١٦٤-١٦٦] وسورة [غافر٤٠: ٧] التي لا يرد فيها اصطلاح الملائكة).

- (٢) في مشهد يوم الحساب الأخير حيث يسائل الملائكةُ الناسَ، أو يشهدون ضد المذنبين، ومن ثم يقودون المؤمنين إلى الجنة والمسيئين إلى النار ([الفرقان٢٥: ٢٢-٢٦] و[فصلت٤١: ٣٠] و[الحاقة٦٩: ١٧] و[النبأ٧٨: ٣٨

وسورة [النحل١٦: ٢٧-٣٣] التي تحوي في سياقها إضافات لاحقة).

- (٣) في القصة التي روي فيها أنّ الملائكة أُمروا بالسجود لآدم: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إلا إبليس..» ([الحجر١٥: ٣٠] و[ص٣٨: ٧٣] مع اختلاف في سورة [البقرة٢: ٣٤] و[الأعـراف٧: ١١] و[الإسراء١٧: ٦١] و[الكهف١٨: ٥٠] و[طه٢٠: ١١٦]).

- (٤) في الورود القرآني الوحيد عن القصة الذي يخبر بأن الملائكة قد أُعلموا بشأن خلق الإنسان رغم أنهم لم يستشاروا حقيقة بخصوص هذا الخلق؛ ثم تم تحدّيهم بخصوص مجاراة علم أو معرفة آدم (البقرة٢: ٣٠-٣٣) (٢٤).

في سياقات مكية أخرى، والتي ادعي أنّ أرواحاً ماورائية، ظُنّ بأنها Angels، رغم أنهم لم يُسموا بـ «أنهم ملائكة»، يردون في سياق أدوار أخرى:

- (١) كـ «أمناء» أو «حافظين»، الذين يسجلون أعمال البشر (حافظون [الانفطار٨٢: ٩- ١٢]، وكذلك سُموا بـ «حفظة» في [الأنعام٦: ٦١ وما بعدها])، أشير إليهم بـ «المعقّبات» في [الرعد١٣: ١٠]، وبـ الـ «رُسُل» في [يونس١٠: ٢١] و[الزخرف٤٣: ٨٠ وما بعدها].

- (٢) كـ «رسل» أو «سفراء» الله، الذين زاروا إبراهيم ليبشروا بولادة ولد له، ولإنذاره بالتدمير الوشيك لمدينة «قوم لوط» (دُعوا بـ «الرسل» في [هود١١: ٦٩] و[العنكبوت٢٩: ٣١]...الخ؛ ودعوا: «المرسلون» في [الحجر١٥: ٥٧] و[الذاريات٥١: ٣١]...الخ؛ وأشير إليهم أيضاً بكونهم «ضيوف» إبراهيم في [الحجر١٥: ٥١] و[الذارايات٥١: ٢٤]).

- (٣) كـ «رسول» يظهر لمريم، ومن ثم يبشر بولادة يسوع ([مريم١٩: ١٩]).

- (٤) كـ «رُسُل» الله الذين «يتوفون» الناس في فترة الموت ([الأنعام٦: ٦١] و[الأعراف٧: ٣٧]).

ربما لا يمكن فهم هذه السياقات وطبيعة ودور الملائكة كما صُوّروا، إلا فقط عندما يُقارنوا بالسياقات المدنية اللاحقة، والتي حدثت فيها تطورات مهمّة بخصوص التصوير القرآني للملائكة.

يمكن تأريخ نقطة التحول بنحو دقيق إلى حدّ ما، في فترة ما بين تغيير القبلة ومعركة بدر. وثمة ثلاثة نصوص تنتمي لهذه الفترة تطالب بالإيمان بالملائكة ([البقرة٢: ١٧٧ وآية ٢٨٥] وفي [النساء٤: ١٣٦] وجميع هذه النصوص قد نوقشت أسفله في القسم التالي). ومن ثم بعد معركة بدر، تظهر الملائكة في السياقات القرآنية، تحديداً بكونهم «ملائكة»، ولها أدوار جديدة:

- (١) كـ «داعمي» المؤمنين في المعركة ([آل عمران٣: ١٢٣-١٢٥] و[الأنفال٨: ٩ وآية ١٢]).

- (٢) كـ «داعمي» النبي محمد في النزاعات العائلية ([التحريم٦٦: ٤-٥]).

- (٣) كـ «حاملي» الأخبار الجيدة، والتي سلموها مرة إلى زكريا ومريم بخصوص الولادة الوشيكة لـ يوحنا (المعمداني) ويسوع ([آل عمران٣: ٣٨-٤٧])(٢٥).

- (٤) كـ «وكلاء» للموت الذين «يتوفون» الناس ([النساء٤: ٩٧] و[الأنفال٨: ٤٩-٥١] و[النحل١٦: ٢٨ وآية٣٢ وأشير إلى الآية سابقاً] و[محمد٤٧: ٢٧]).

لقد حدث حقيقة التغيّر الدراماتيكي في تصوير القرآن سواء لطبيعة أو دور الملائكة بعد معركة بدر. وقد كان أعداء محمد قبل بدر قد طالبوا بإرسال ملائكة كـ دليل مرئي على حقيقة رسالة محمد، كما هو في: [الحجر١٥: ٦ وما بعدها] «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ/ لَوْ مَا تَأْتِينَا بالملائكة إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ». يعكس هذا الافتراض [التصويري.م] بخصوص ظهور الملائكة للناس بنحو مرئي أو حتى بشكل بشري، النظرة التي في الروايات المكية لقصص الرسل الملائكيين الذين أرسلوا إلى إبراهيم ومريم. إنّ الصيغة البشرية للرسل الملائكيين في سورتي [هود١١: ٦٩ وما بعدها] و[الذاريات٥١: ٢٤ وما بعدها] مظهر أساسي للقصة، ذلك أن الرواية فيها تُظهر أنّ إبراهيم كان يمتلك وجبة طعام مجهزة لضيوفه، ولم يكتشف هويتهم الحقيقية، وأصبح خائفاً، إلا فقط عندما رفضوا الأكل، وبالتالي كُشف بعدها طبيعتهم الإلهية أو الملائكية. إنّ الخوف من الرسل الملائكيين الذين يظهرون بصيغ بشرية، قد أُكد عليه أيضاً في الرواية المكية في البشارة في [مريم١٩: ١٦ وما بعدها] التي يقول فيها رب مريم: «فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا/ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا/ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا».

خلال الفترة المكية كلها وحتى معركة بدر، لم يرسل، على أية حال، إلى محمد ملائكة، والرد الوحيد على تحدّي معارضي محمد من قبل القرآن (في سورة [الحجر١٥: ٦ وما بعدها]) هو ما قرره في: [الحجر١٥: ٨]: «مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إلا بِالْحَقِّ [هنا على ما يبدو في مشهد الحساب] وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ»(٢٦).

وبعد معركة بدر أعلن القرآن أنّ نصر المسلمين فيها على الجيش الكبير المكي الذي يفوق جيش المسلمين بكثير، هو نصر معجزة، دلالة مرئية على سيادة الله وعلى حقيقة رسالة محمد: «وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ... إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بثلاثة آلاف مِنَ الملائكة مُنْزَلِينَ/ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاف مِنَ الملائكة مُسَوِّمِينَ» [آل عمران٣: ١٢٣-١٢٥]. وهذا كان في الحقيقة، ردٌّ على مطلب إرسال الملائكة كـ علامة/ دليل، لكن مع اختلاف فاقع: الملائكة الذين شاركوا في معركة بدر، كما قيل، كانوا محجوبين غير مرئيين، ذلك أنه من الواضح أنّ الذين شاركوا في قتال بدر لم يكونوا مدركين لوجودهم. وهذه النظرة القرآنية- ما بعد معركة بدر للملائكة أيضاً يمكن قراءتها في الرواية المدنية لإعلان ولادة يوحنا (المعمداني) ويسوع في سورة [آل عمران٣: ٣٨-٤٧] والتي تبدأ: «هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ/ فَنَادَتْهُ الملائكة وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ/ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غلام وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ

وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ». زكريا هنا لوحده في المحراب يؤدي صلاته إلى الله وحتى بعد الرسالة يقال أنه تسلمها من قبل الملائكة(٢٧). النتيجة نفسها للأحداث أيضاً تظهر في [آل عمران٣: ٤٢ وما بعدها] التي يحضر فيها الملائكة المخفيين إلى مريم مرتين؛ وفي المرة الثانية [آل عمران٣: ٤٥ وما بعدها] التي تبدأ: «إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ...»؛ ثم تجيب على ذلك: «قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ». مريم هنا غير مدركة لوجود الملائكة، ولا الملائكة تكلموا معها، ذلك أنها، مثل زكريا، أجابت بالكلام بنحو مباشر إلى الله.

إنّ مقارنة بين الرؤى المكية والرؤى ما بعد معركة بدر لقصص إرسال رسل ملائكيين يزورون إبراهيم ولوط وزكريا ومريم، تظهر تغيراً أو تطوراً متناغماً في تصوير القرآن للملائكة: لم يُدع أبداً الرسل الملائكيون في النصوص المكية بنحو خاص بـ «الملائكة» الذين يظهرون بصيغة بشرية؛ بينما في الفترة ما بعد بدر، وفي نفس القصص، الرسل يدعون بـ «الملائكة»، وهم غير مرئيين، كما أنّ الذين يتكلمون معهم غير واعين أو مدركين لوجودهم. وهذه النظرة الأخيرة للملائكة متناغمة مع تجربة المسلمين الذين قاتلوا في معركة بدر. وثمة تطور مماثل يرد فيه ذكر اصطلاحي «الرسل» (الاصطلاح العام) والاصطلاح الخاص «ملائكة»، هو –أي التطور- في فترة ما قبل بدر وما بعدها بخصوص نصوص الموت «توفّ»: ففي الوقت الذي دُعي فيه وكلاء الموت بـ «الرسل» في فترة ما قبل بدر، نجد أنه في النصوص اللاحقة، ما بعد بدر، دُعوا دائماً بـ «الملائكة». إنّ نصوص الموت هذه، تزود حتى بإضاءة أوضح للتطور القرآني في تصوير الله نفسه والمخلوقات الأخرى الماورائية، وخاصة أنّ معظم السياقات المكية تقرّ أنّ الله نفسه هو الذي «يتوفى» الناس في وقت الموت (انظر: [يونس١٠: ٤٦ وآية ١٠٤] و[الرعد١٣: ٤٠] و[النحل١٦: ٧٠] و[غافر٤٠: ٧٧]... الخ)(٢٨). وهكذا، فإن الوظيفة المعزية إلى الله و«رسله» في السياقات المكية، قد أعزيت بنحو خاص ومتناغم إلى «الملائكة» في سياقات ما بعد بدر. النمط نفسه في هذا التحول في الوظيفة أيضاً يمكن قراءته في حالة «وكلاء الوحي»: في السياقات المكية الموحي هو الله نفسه (وأحياناً الروح التي تُسلم الرسالة إلى محمد)، بينما في سياق مدني واحد [البقرة٢: ٩٧]، وكيل الوحي هو بنحو محدد جبريل.

وبالتالي، إنّ الأهمية والدلالة القصوى للملائكة في وحي ما بعد بدر، يندرج فيهما دورهم وطبيعتهم وعلاقتهم مع الله والإنسان. لقد كان دورهم الرئيس في سياقات ما قبل بدر هو في خدمة أو عبادة الله في مختلف الأمور الإلهية، في اليوم الآخر، وأحداث جهنم؛ بينما في سياقات ما بعد بدر، فإنّ أدوارهم الرئيسة هي في العلاقة أو مساعدة الإنسان في سياقه الحاضر والحوادث التاريخية. وهكذا، فإنّ الملائكة اقتربت أكثر من الناس.

ومن الأهمية بمكان، أنّ التطور هذا قد حدث في الوقت نفسه الذي توقف فيه ذكر الجن والشياطين وإبليس وجنوده في القرآن اللاحق، والذي حدث فيه (في الوقت هذا) أنّ التأكيد على «واحديّة» الله وإنكار وجود آلهة أخرى، قد وصل تطوره إلى قمته بشأن التعامل مع المواضيع الرئيسية في الوحي. وهكذا، فإن القرآن يصور في الوحي المكي المتأخر والمدني الباكر الاستقطابَ المتزايد للقوى الماورائية للشر والخير بالنسبة لحياة الناس. وبينما يظهر الإسراف في القوى الماورائية في الوحي المكي بهويتهم وعلاقاتهم بشكل غير واضح، ففي أقسام الوحي المدني (أو إذا شئنا الدقة ما بعد بدر) للقرآن كل القوى الماورائية، لكن غير الإلهية، بالنسبة للخير، تركزت في الملائكة؛ وكل القوى الماورائية، لكن غير الإلهية، بالنسبة للشر، تركزت في مخلوق واحد هو الشيطان. وكما

لاحظنا في تناول الملائكة في القرآن، الشيطان أيضاً اجتاز تحولاً تدريجياً من الحقل الأسطوري إلى الدنيوي. إنّ الشخصيات/التشخصات القوية لإبليس وسقوط الملائكة والشيطان، والمغوي الماكر الذي يصور شخصيات الأفعى في قصة سقوط آدم..كلها قد ذابت في مخلوق واحد، في فترة الرواية الأخيرة للقرآن للقصتين في آيات [البقرة: ٣٤- ٣٨](٢٩).

الإيمان بالملائكة والشيطان ورموز القوة الإلهية:

تحتوي الأجزاء المكية المتأخرة والمدنية سلسلة من التقارير العقائدية، غالباً في سياقات تطالب بالقيام بطقوس دينية محددة مثل الصلاة والزكاة. وتعكس هذه التقارير بنحو واضح الاهتمامات والمواضيع التي سيطرت على الوحي في مختلف أوقات هذه الفترة. وتركز السياقات المكية والمدنية الباكرة جداً على الإيمان بـ «آيات signs» رب محمد كما هو في [المؤمنون٢٣: ٥٨](٣٠) ، والإيمان بالآخرة كما في [النمل٢٧: ٤](٣١) والإيمان بالقرآن (الجمع الشفهي للتلاوات التي وجدت قبل البدء بكتابة الوحي في صيغة كتاب) كما في [يونس١٠: ٣٧-٤٠]. إنه فقط في السياقات المدنية التي طُلب فيها الإيمان بالله خاصة كما في [الطلاق٦٥: ١١]، بينما أصبح الإيمان بالقرآن إيماناً بـ «الكتاب» كما في [البقرة٢: ١٧٧] (سيأتي ذكرها)، وغالباً ما أشير إليه بكل بساطة «بِمَا نَزَّلْنَا» [آَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا] في [النساء٤: ٤٧]...الخ؛ وأصبح الإيمان بالآخرة، إيماناً بـ «اليوم الآخر» كما في [البقرة٢: ٦٢] «مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا...». لقد أشير إلى الإيمان «بالله واليوم الآخر» في سياقات مدنية كثيرة(٣٢) كما هو الحال «بالله ورسوله» في [النور٢٤: ٦٢]: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه»(٣٣)، أو الإيمان «بالله ورسله» كما في [آل عمران٣: ١٧٩] «فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ»(٣٤).

إنّ النص القرآني المبكر الذي يطالب صراحة بالإيمان بالملائكة هو [البقرة٢: ١٧٧] الذي يعود تأريخه إلى فترة تغيير القبلة: «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ(٣٥) وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ». إن الإيمان بالملائكة مؤكد عليه صراحة في نصين آخرين، إلى حد ما لاحقين، في [البقرة٢: ٢٨٥] و[النساء٤: ١٣٦]، والصيغة القرآنية الأخيرة [نص النساء.م] لعقيدة المسلم يعود تاريخها إلى فترة معركة بدر تقريباً: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا». هنا، غدا الإيمان «بالملائكة» إيماناً «بملائكته»، بينما «الكتاب» أصبح «كتبه»(٣٦)، و«الأنبياء» أصبحوا «رسله». وهذه هي الصيغة الأخيرة ضمن سلسلة التقارير القرآنية العقائدية الطويلة، والتي تطورت تزامناً مع عملية استقطاب القوى الإلهية في الوحي المكي الأخير والمدني المبكر. وليس صدفة بالتأكيد أن هاتين العمليتين وصلتاق أوجهما (قمة تطورهما.م) في الوقت نفسه، وذلك تقريباً في فترة معركة بدر.

وهكذا، فإنّ «الموقف القرآني الأخير» بخصوص الله والمخلوقات الإلهية الأخرى، لا تتوضح بنحو ثابت إلا في سياقات فترة معركة بدر وما بعدها، حيث نرى تضاريس الله واضحة في كل قوته وعظمته مع صفاته الكثيرة الوصفية؛ ومعه فقط تكون الملائكة والشيطان. كما أنّ استقطاب القوى الإلهية، مع التأكيد على قوة الله المطلقة قد تموضع في التحول في طبيعة، إذا لم نقل في وجود، الملائكة والشياطين. لقد غدت الملائكة ليست أكثر

من رموز وامتدادات في القوة الإلهية كما ظهر معنا في النص التبشيري في سورة [آل عمران٣] الذي نوقش في القسم السابق، وأيضاً في السياقات التي تتحدث عن الملائكة كـ شواهد أو داعمين لمحمد، مثل [التحريم:٦٦: ٤] «إِنْ تَتُوبَا(٣٧) إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ»، و[آل عمران٣: ١٨] «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» و[النساء٤: ١٦٦] « لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا».

وبما أنّ المكيين وجيرانهم قد استمروا في عبادة اللات والعزى ومناة حتى تمّ تدمير معابدهم الثلاثة في السنتين الثامنة والتاسعة بعد الهجرة (ابن اسحق: ٥٦٥ و ٦١٥ وما بعدها. وات ١٩٥٦: ٦٩ و١٠٣)، فإن وجود هذه الأصنام استمر في تأثيره على التطور الفكري للقرآن. وفي السنوات المكية المبكرة، لم تعد هذه الآلهة تُعرّف كـ ملائكة، ذلك أنّ هذه الرموز للقوة الإلهية لا تستطيع فعل أيّ شيء، بعكس إرادة الله؛ ولا حتى كذلك الجن، لكون هذه الأرواح لم تعد تذكر في القرآن، ولم يعد لها من مكان كما هو مفترض في اعتقاد ونظرة المسلم التي تأسست حديثاً. وهكذا، فإن القيام بطقس الصلاة في [النساء٤: ١١٧-١١٩] لتلك الآلهة، سيغدو الآن صلاة لـ «الشيطان المريد»، وسيغدو كذلك القيام بالطقوس الدينية المتصلة بهذه الآلهة أوامر من قبل الشيطان: « إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إلا شَيْطَانًا مَرِيدًا/ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا/ لأضلنّهم ولأمنّيهم وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأنعام ولآمرنّهم فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا/ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا». الشيطان في سياق فترة ما بعد بدر، أثناء التطور الموازي للملائكة، يظهر ليس أكثر من رمز، خال من الشخصية الفاعلة، كما هو الحال في النصوص المبكرة. لقد أصبح الشيطان رمزاً للشر والكفر والوثنية: «إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً(٣٨) لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ» [الأنفال٨: ١١] وفي نص مدني لاحق: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ والأنصاب والأزلام رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [المائدة٨: ٩٠].

خاتمة:

لقد أظهرت هذه الدراسة أنّ «الله» لم يظهر في القرآن إلا فقط بنحو تدريجي. وإضافة إلى التوازي الذي أخذه تصوير الله التدريجي فيه، فهناك أيضاً التطورات التي لحقت بالآلهة والمخلوقات الماورائية الأخرى. لقد دُعي ربّ محمد بعد حضوره الأول غير المسمى في القرآن، دُعي لفترة بـ «الرحمن»، ومن ثم عُرّف مع «الآلهة العربية العليا» بـ الله؛ وأخيراً اعترف به كـ إله اليهود والمسيحيين. لقد حددت هذه التعريفات في هوية الله مهمة محمد الرئيسية، ورسمت له ضرورة مسلكه بخصوص رسالته. ففي البداية، كان عليه أنْ يفصل الله عن الآلهة العربية الأخرى في عقول الناس، ومن ثم ليقنعهم كلهم، بمن فيهم اليهود والمسيحيون، بأنّ الله وحده هو فقط يستحق العبادة، وهو غير متداخل على الإطلاق مع كل المخلوقات الأخرى -الآلهة، والأنبياء والملائكة...الخ- والتي «ارتبطت» به (سابقاً.م). ومن المعلوم أنّ هذه المهمة الكبيرة لن تنجز بنحو مباشر، بل على مراحل عديدة. ففي البداية، أشار القرآن لمظاهر محددة حول اعتقادات أو نظرة الناس، في نفس الوقت الذي هاجم فيه اعتقادات أخرى؛ ومن ثمّ، مرحلة مرحلة، استبدلت الاعتقادات العربية القديمة، واللاحقة،

اليهودية والمسيحية، بعناصر مختلفة من الإيمان الإسلامي الآخذ في النمو. وكما رأينا، فقد تم في هذه الدراسة تناول مظهر واحد لهذه الشبكة الواسعة من الأفكار، وهو العلاقة بين رب محمد والآلهة الأخرى والمخلوقات الماورائية «الأدنى مرتبة».

لقد أظهر القرآن لفترة في أجزائه المكية وجود الجن، والعفاريت وإبليس و«ملَئِه» والآلهة الأخرى «غير الله» كمخلوقات مستقلة لها تأثيرها الكامن على حياة الناس. لكن لاحقاً، صُورت الآلهة الأخرى غير الله بكونها «موجودة» لكن «عاجزة»؛ ومن ثمّ، تمّ إنكار وجودها بنحو شديد، وجودها كواقع، كمخلوقات مستقلة...لقد تم إنكار ذلك. تطوّرٌ مماثل حدث، فبدلاً من الإنكار القاطع لوجودهم (الجن، والعفاريت، و«ملأ إبليس»)، توقف القرآن بكل بساطة عن ذكرهم في وحي ما بعد بدر. الملائكة فقط هي التي تمتعت بمكانة عالية في الوحي المدني، وحتى لوضُمنت في النصوص العقائدية حوالي فترة معركة بدر. لكن، وأخيراً، لقد غدوا ليس أكثر من رموز لدعم المؤمنين والامتداد في القوة الإلهية، كما هو الحال مع الشيطان، بعد حصول الفصل الأصلي لشخصيات إبليس، لقد أصبح الشيطان كذلك رمزاً للشر والكفر. وفي النهاية غدت الملائكة بنحو شديد مرتبطة بإرادة الله وأفعاله؛ والأمر نفسه ينطبق على الشيطان، الذي سيلازم إرادة الكافرين وأفعالهم. وفي كلا الحالتين، بالكاد اعترف بوجودهم كمخلوقات مستقلة.

وبينما تبدو الخطوط العامة هذه لتطور القرآن واضحة، فإنه من الملح بنحو شديد موضعة برنامج أو بيان عن المعلومات تبين أنّ القرآن يُظهر بنحو واضح مراحل تأريخية في تطور هذه المفاهيم. وبدلاً من ذلك، فما يظهر هو سلسلة من التطورات التدريجية المتداخلة لا يمكننا تأريخها بنحو دقيق. وإحدى أهم المراحل التاريخية الدقيقة والواضحة جداً (من جهة الدقة التاريخية.م)، وأوضح من غيرها، هي مرحلة تغيير القبلة ومعركة بدر، وهذه المرحلة هي نقطة تحول مهمة في تطور هذه المفاهيم؛ وأهميتها أكثر حتى من حدث الهجرة؛ لهذا، فإن التمييز بين سياقات ما قبل وما بعد بدر، يغدو مهماً جداً أكثر من التمييز بين الأجزاء المكية وبين المدنية من القرآن.

وأخيراً، إنه من الواضح أنّ القرآن يزوّد بصورة متساوقة وجلية عن الله والكائنات الماورائية الأخرى؛ لكن هذا، لا يمكن رؤيته إلا فقط حينما تتم قراءة النصوص القرآنية العديدة التي تناولتهم على ضوء الظروف التاريخية للذين سمعوه لأول مرة. وبهذه الطريقة، يغدو القرآن استجابة أساسية وملحّة للمشاكل التي واجهت محمداً أثناء رسالته في تأسيسه إيمان المسلم وطقوسه. وفي نفس الوقت يغدو القرآن كلمة الله الحيّة، قادراً لأن يُفسر بواسطة المؤمن، وبالتالي لمواجهة الاحتياجات المعاصرة للمسلمين في جميع أنحاء المعمورة.

العنوان الأصلي للمقال:

Welch, Alford T.: ‘Allah and Other Supernatural Beings: The Emergence of the Quranic Doctrine of tawhid’, JAAR, thematic issue, Studies in Quran and Tafsir (Guest ed. Alford T. Welch), ٤٧ (Dec. ١٩٧٩), no. ٤ S, ٧٣٣-٥٣.

الملاحظات والهوامش:

(١) ألفرد ولش (جامعة إدنبرة) الأستاذ المساعد للدراسات الدينية في جامعة ميشيغان. له أبحاث عديدة منها حول «أركان الإسلام» والمناسبات الإسلامية السنوية في Der Islam (Stuttgart ١٩٨٠) الجزء الأول، وقد كتب مع مونتغمري وات؛ ومقالة «القرآن» في الطبعة الجديدة لـ Encyclopedia of Islam.

(٢) الاصطلاح المستخدم في هذه المقالة هو الاصطلاح العربي «الله»، بدلاً من الاصطلاح الإنكليزي «God»، لدقة الترجمات للآيات القرآنية، ولكون أنّ هذه الدراسة تتعامل مع هوية وأسماء مختلفة لرب محمد.

(٣) إنّ التعبير «نصوص الوحي المبكرة earliest revelations» بدلاً من «السور المبكرة أو الأولى» هو المستخدم هنا، وبخاصة أنّ معظم سور القرآن مجموعة جمعاً وتحمل أجزاء تعود إلى تواريخ مختلفة. وما لم يُشر إلى تواريخ بعينها، فإنّ كل ما يرد في هذه المقالة بشأن التأريخ هو من استنتاجاتي. وفي معظم الحالات، إنّ معظم تحليلاتي تنحو لدعم النتائج التي توصل إليها «بل»، ١٩٣٧، و ١٩٣٩ حيث تمّ تأريخ أجزاء بعينها بدلاً من السور كلها.

(٤) إنّ القصص التراثية التي تؤكد أنّ هذه النصوص هي من نصوص الوحي الأول، والتي تعود إلى حوالي سنة ٦١٠ لا يمكن قبولها كتأريخ دقيق. انظر على سبيل المثال: Zamakhshari, IV:١٨٠, translated in Gatje: ٦٢f.; also Bell, ١٩٣٩: ٦١٦, ٦٦٧

(٥) إنّ استنتاج «بل» (١٩٣٧:٢٣٢)صحيح بأن الجزء الأخير من هذه الآية يعود تأريخه لفترة لاحقة.

(٦) إنّ غياب اسم الله واضح أيضاً في سور مثل [الواقعة٥٦] و[القلم٦٨] و[النبأ٧٨] و[الفجر ٨٩] و[الضحى٩٣]، حيث ترد فقط اصطلاحات اسم الرب والرحمن. أمّا في سورة [العنكبوت ٢٩] من سور المائة وأربعة عشر (أي في الربع الأول منهم)، فإنّ اسم الله لا يرد على الإطلاق. ولا يمكننا حسم التأريخ الدقيق لهذه السور؛ إلا أنهم تقريباً كلهم يعودون لفترة مبكرة. وطبقاً لترتيب «فايل» و«نولدكه» و«بلاشير» فإنهم كلهم، لكن آيتين من سورة [٢٩] هم من «المكي المبكر». ويُظهر إحصاء تقريبي طبقاً لـ «بل» في تأريخ أجزاء منفردة للقرآن بأنّ اسم الله يرد بمعدل مرة واحدة كل سطرين من سور القرآن التي تنتمي بنحو تام إلى الفترة المدنية؛ بينما يظهر بمعدل مرة واحدة فقط كل ٢٤ سطر في سور هو يعتبرها بأنها مكية بنحو تام؛ كما يظهر اسم الله بمعدل مرة واحدة كل ستة أسطر في سور يعتبر «بل» أجزاءً منها مكية وأجزاءً منها مدنية (تتضمن هذه المجموعة من السور نصف سور القرآن تقريباً).

(٧) بالرغم أنّه من الصعب إعطاء تاريخ دقيق للمرة الأولى التي ظهر فيها اسم الله، إلا أنه من الصحيح تماماً بأنه لم يرد في آيات الوحي الأول. وليس صحيحاً تماماً ما يقرّه «غاردت Gardet» بأنّ «الرسالة التي سلمت إلى محمد كانت منذ البداية تبليغ كلمة الله»؛ ولا حتى حينما يكتب بأنّ: «الله -كما قيل لمحمد- في أول سورة من القرآن هو «ربك» [العلق٩٦: ١]....».

(يكتب وات (Bell/Watt: ١٥٣) حول اسم الرحمن: «إنّ الظهور المفاجئ لهذا الاسم يبقى من الأمور الغامضة؛ إلا أنّ اختفاءه وعدم ورده ربما كان بسبب أنّ أشخاصاً جاهلين قد مالوا للاعتقاد بأنّ «الله» و«الرحمن» هما آلهتين منفصلتين، كما أشير فعلاً حول إمكانية ذلك بواسطة مفسرين مسلمين عند تفسير [الإسراء١٧: ١١٠]». انظر على سبيل المثال: Zamakhshari, II, ٤٧٠

(٩) See also ٢٩,٦١, ٦٣, ٣١,٢٥, ٣٩,٣٨ and other verses discussed by Macdonald (٣٣).

(١٠) ربما هذا يشير إلى أنّ الوثنيين العرب اعتبروا الله آلهة أو حامياً للناس عندما يكونوا في البحر (أو الصحراء)، أي خارج مجال الآلهة المحددة ذوي المرتبة «الدنيا». لكن انظر الآيات [يونس١٠: ٢٢] و[النحل١٦: ٥٣] و[لقمان٣١: ٣٢] حيث يقول القرآن أنّ الوثنيين يلجئون إلى الله في أوقات الشدّة.

(١١) تنعكس مواقف المكيين تجاه الله في آية: « وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا». وحول الدليل القرآني حول هذا، هناك الإيجاز المفيد لوات ١٩٧١.

(١٢) See, e.g., Bell ١٩٣٩:٣٤٥f.

(١٣) إنّ مدى تاريخية ما يعرف بـ قصة آيات «الغرانيق» لا يمكن دعمه على أساس الدلائل القرآنية الداخلية. وقد أورد نولدكه/ شفالي: ١٠١- ١٠٣ الجدالات حول هذه النقطة. أما الجدل ضد هذه القصة فقد دعم بواسطة دراسات الحديث عند بورتون Burton.

(١٤) انظر أيضاً: [الإسراء: ١٧: ٤٠]. وبالتأكيد إنّ إيكلير Eichler (١٠١) خاطئ حينما يتوصل إلى أنّ مفهوم «بنات الله» قد تأصل في العصور الإسلامية. ولبيان أنّ هذا المفهوم قد وُجد في جزيرة العرب قبل عصر محمد انظر: وينيت Winnett ١٩٤٠: ١١٦- ١١٨. Ibn al-kalbi, ١٩

(١٥) القول أنّ القرآن يعرف هوية الآلهة الأنثى العربية أو «بنات الله» كـ «ملائكة»، قول واضح في النص نفسه، وقد اعترف وأقر بذلك المفسرون. انظر على سبيل المثال: Jalaayn: ٤٦٧ (on ٥٣: ١٩ f.), also ٣٩٩ and ٤٣٠ f. (on ٣٧: ١٥٠ and ٤٣: ١٩ f.) and Zmakhshari, IV ,٣٠ f. (٥٣: ٢٠).

(١٦) كما في [مريم ١٩: ٨١] و [يونس١٠: ٢٨]...الخ، والتي أشير إليهم آنفاً.

(١٧) قارن: [الفرقان٢٥: ٣ وما بعدها] و[الأعراف٧: ١٩١- ١٩٨] أشير إليهم آنفاً.

(١٨) إنّ اصطلاح «الجِنّة»، والذي يظهر مرتين في هذه الآية، يعني «الجنّ»، أينما يرد في القرآن مع أداة التعريف؛ وإلا إذا لم يرد كذلك، فإنه يعني «استحواذ الجنّ» (يقال: «به جِنّة». كما ورد في وصف معارضي محمد له.م)، وبالتالي يرادف الـ «المجنون». انظر الأسفل.

(١٩) انظر [الأنعام٦: ١٠٠] الأسفل.

(٢٠) انظر [الفرقان: ٢٥: ٥٤] و [المؤمنون٢٣: ١٠١] واللتان تحتويان إيرادات أخرى لهذا الاصطلاح في القرآن.

(٢١) يشرح وات (١٩٥٣: ١٠٨): «مرة أخرى، عندما يقال أنّ الوثنيين قد جعلوا من الجن شركاء لله، فهذا لا يعني ببساطة أنّ الوثنيين اعتبروهم جناً؛ القرآن يعبر عن هذا الأمر، لأنه بالتالي الاعتقاد الذي كان مسلماً به في ذلك الوقت بواسطة محمد والآخرين الذين هجروا عبادة الأوثان».
(٢٢) See note ١٧ above (في الترجمة العربية حاشية ١٨).

(٢٣) بدون شك، «إيكلير» (٣٠) حينما يتوصل إلى أنه حيثما يتبادل هذان الاصطلاحان [الأدوار.م] في القرآن كما في أسطورة الشهاب الثاقب، فإنّ كليهما يشير إلى «طبيعة الشياطين»، والتي هي من الاعتقادات العربية القديمة.

(٢٤) انظر الأسفل حول القصة حاشية (٢٨/ ٢٩ عربي). ولم يشر هنا إلى السياقات المكية التي ورد فيها ذكر مخلوقات ما ورائية محددة (نوقشت أعلاه) كـ «ملائكة»، ذلك أنها تشير إلى الآلهة العربية الأنثى، وليس إلى الملائكة.

(٢٥) لم تُكرر قصة «ضيوف» إبراهيم في السياقات المدنية؛ فبدلاً من ذلك، فإنّ السياقات اللاحقة تشدد على أهمية إبراهيم كـ «أوّل مسلم» وباني الكعبة. انظر الإشارات حول ذلك Bell/ Watt: ٢١٥.

(٢٦) يرى تفسير الجلالين (٢٢٩) في تفسير الحق أنه يعني «العذاب»، لكنّ الزمخشري (II: ٣٨٧) يقول أنه «الحكمة» و«المصلحة»؛ وبالتالي يوافق مع المعنى لهذا الاصطلاح في آية [الفرقان١٥: ٥٥] التي يرد فيها ذكر الرسل الملائكيين.

(٢٧) لا تظهر الملائكة على الإطلاق في السياق ١٩ 1f الموازي الباكر، حيث يصلي زكريا بكل بساطة لـ «ربه» ويتلقى إجابة منه.

(٢٨) طبقاً لـ «بل» (١٩٣٩: ٤٠٦) فإنّ [السجدة ٣٢: ١٠ وما بعدها]، السياق الوحيد في القرآن، حيث يرد التعبير «ملك الموت» هو مدني (سياق مدني). إيزوتسو Izutsu (١٦) ليس صحيحاً بنحو دقيق حينما يقول بأنّ: «مفهوم «ملك الموت» قد لعب دوراً مهماً في الإيسكاتولوجيا القرآنية».

(٢٩) هنا ثمة قصة ثالثة محدد قد أضيفت للمرة الأولى في [البقرة٢: ٣٠- ٣٣]. وهذه القصص الثلاثة قد نوقشت مفصلاً في مقالتي غير المنشورة- ادنبرة « The Pneumatology of the Qur'an » (١٩٧٠)، ٢٤- ٨٠. انظر أيضاً «بيك» Beck . وبالرغم أنه ينكر بعض الأحيان بأن إبليس هو من الملائكة الساقطين (من الجنة.م)، فإن هذا قد تم الاعتقاد به وقبوله بواسطة المفسرين التراثيين، مثل البيضاوي: ١، ٥١ (طبقاً للترجمة

الإنكليزية. م). وأيضاً الطبري ١٩٦١، ١، ٨٣. وحول العلاقة الوثيقة بين الشيطان والأفعى في قصة سقوط آدم، انظر البيضاوي ١، ٥٣؛ الزمخشري، ١، ٢٧٣ وما بعدها (مرة ثانية الترقيم بالنسبة للمصادر العربية هو طبقاً للترجمة الإنكليزية).

(٣٠) انظر أيضاً: [الأنعام٦: ٢٥- ٥٤- ١٠٩ وما بعدها- ١٥٨] و[الأعراف٧: ١٢٦- ١٤٦- ١٥٦] و[النحل١٦: ٧٩- ١٠٤] و[طه٢٠: ١٢٧] و[الأنبياء٢١: ٥ وما بعدها- ٣٠] و[النمل٢٧: ٨١- ٨٦] و[القصص٢٨: ٢ وما بعدها] و[العنكبوت٢٩: ٢٤] و[الروم٣٠: ٣٧- ٥٣] و[السجدة ٣٢: ١٥] و[غافر٤٠: ٥٧- ٥٩] و[فصلت٤١: ٦].

(٣١) انظر أيضاً: [الأنعام٦: ٩٢- ١١٣- ١٥٤] و[النحل١٦: ٢٢] و[الإسراء١٧: ١٠- ٤٥] و[المؤمنون٢٣: ٧٤] و[سبأ٣٤: ٨- ٢١] و[الزمر٣٩: ٤٥].

(٣٢) على سبيل المثال: [البقرة٢: ٨- ١٢٦- ٢٣٢- ٢٦٤] و[آل عمران٣: ١١٤] و[النساء٤: ٣٨ وما بعدها- ٥٩- ١٦٢] و[المائدة٥: ٦٩] و[التوبة٩: ١١٩- ٢٩- ٤٤ وما بعدها- ٩٩] و[النور٢٤: ٢] و[المجادلة٥٨: ٢٢] و[الطلاق٦٥: ٢].

(٣٣) انظر أيضاً: [النور٢٤: ٤٧] و[الفتح٤٨: ٩- ١٣] و[الحجرات٤٩: ١٥] و[الحديد٥٧: ٧] و[الصف: ٦١: ١١]....الخ.

(٣٤) انظر أيضاً: [النساء٤: ١٥٠- ١٥٢- ١٧١] و[الحديد٥٧: ١٩- ٢١] إضافة إلى هؤلاء نوقشوا أسفلاً.

(٣٥) هذا هو التقرير القرآني الوحيد الذي يطالب بهذه العناصر في هذه الصيغة، أي «الملائكة»، بدلاً من «ملائكته»، و«الكتاب»، بدلاً من «كتبه»، و«الأنبياء» بدلاً من «رسله».

(٣٦) يبدو أن التعبير «الكتاب» في التقرير القرآني المبكر يعني أنّ الكتاب نفسه قد أرسل إلى جميع الأنبياء، بينما اصطلاح «الكتب» يفيد حول حقيقة أنّ الكتب المقدسة لـ اليهود والمسيحيين والمسلمين...الخ ليست متماثلة.

(٣٧) طبقاً للحديث والتفاسير الكلاسيكية التراثية (انظر على سبيل المثال الطبري الزمخشري حول [الأنعام٦: ٤])،فإنّ هذه الآية تشير إلى الحادثة التي كانت منخرطة فيها زوجتا محمد، حفصة وعائشة.

(٣٨) ربما الإشارة هنا إلى نزول المطر في ليلة قبل معركة بدر. انظر: Ibn Ishaq: ٢٩٦.

ترجمة: حمّود حمّود



الله والمخلوقات الماورائية الأخرى / نشوء العقيدة القرآنية في التوحي

بقلم: ألفرد ولش Alford T. Welch ترجمة: حمّود حمّود

خلال القرن الأول قبل الميلاد وفي الموطن الأصلي للفلسفة الرواقية (كيليكيا)، إبان عهد المملكة الفارسية التي أسسها ميثراديتس السادس في منطقة البنط وضمت إليها أجزاء واسعة من آسيا الصغرى، ظهرت في كيليكيا عبادة جديدة انتشرت في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، من البحر الأسود إلى اسكتلندا غرباً وإلى الصحراء الأفريقية الكبرى جنوباً. تركزت هذه العبادة حول إله قادم من إيران يدعى ميثرا.
وتقول أسطورته الأصلية أنه ولد تحت شجرة تنمو قرب مجرى مائي، حيث انبثق من صخرة على هيئة طفل عار يحمل بإحدى يديه مشعلاً يدلّ على أصله الشمسيّ (٤)، (قارن مع ولادة عيسى في القرآن الكريم عند جذع نخلة يتدفّق تحتها سريّ، أي مجرى مائيّ – مريم : ٢٢-٢٣).

وقد تمّت مطابقة ميثرا مع إله الشمس الكلاسيكيّ هيليوس في صيغته الأخيرة باعتباره الشمس التي لا تقهر، وانتزع منه لقب « سول إنفيكتوس ». ويُعبّر الفنّ المصور الميثروي عن هذه المطابقة في العديد من المنقوشات التي يظهر فيها الإلهان وهما يتصافحان بمودة. كما يعبر الفنّ المصوّر عن دور ميثرا كحاكم شمسيّ للكون بطرق شتّى، فنجده أحياناً منبثقاً من صخرة الميلاد وهو يحمل بيده كرة الكون، أو على هيئة شابّ عار يحمل بيده اليسرى كرة الكون وباليمنى يسند دائرة الأبراج السماوية. وفي المشهد التقليدي لميثرا وهو يضحّي بالثور السماوي نجد عباءته الشرقية منفتحة وراءه على هيئة قبّة ترتسم عليها نجوم السماء وأبراجها، وقد يوضع هذا المشهد ضمن دائرة الأبراج، الأمر الذي يشير إلى الرمزية الكونية لمشهد القربان وصلته بالنظام السماويّ. على أنّ ميثرا ما لبث حتى تحوّل تحت تأثير المفاهيم الرواقية المتأخرة إلى فكرة مجرّدة عن الألوهة المطلقة الخافية التي تتّصل بالعالم عن طريق وسيط إلهيّ أدنى هو الشمس: العقل المدبر للكون وحاكمه المباشر. وهنا يعبر الفنّ المصوّر عن هذه العلاقة الجديدة من خلال مشاهد نجد فيها هيليوس راكعاً أمام ميثرا الذي يضع يده على رأسه في حركة تدلّ على منحه لقباً وتخويله سلطاناً(٥)
.

هذا التشابه في العقائد وفي الطقوس المرتبطة بها أدهش المسيحيين أنفسهم فاعتبروه من صنع الشيطان، أمّا الميثرويون فكانوا يتّهمون المسيحيين باقتفاء أثرهم واقتباس معتقداتهم. وفي القرن الرابع الميلادي بدأت الميثروية بالتراجع أمام المسيحية في كل مكان حتى اختفى أثرها. على أنّ المراقب لذروة التنافس بينهما إبان القرن الثاني الميلادي، بإمكانه القول أنّه لو قيض للمسيحية أن تكبو في مسيرتها لسبب ما، لكان الغرب اليوم ميثروياً.

من هذا العرض (الموجز بما يكفي لغاية بحثنا) للمشهد الديني في الإمبراطورية الرومانية خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد، نلاحظ أنّ الوثنية المتأخّرة المنفتحة على الأفلاطونية المحدثة وعلى الرواقية المتأخّرة، كانت تتقارب مع المسيحية في صيغتها الغربية على الرغم من الصراع القائم بينهما. فقد كانت الوثنية تفارق التعددية في اتجاه نحو التوحيد، في الوقت الذي راح المفهوم التوحيدي الأصلي للمسيحية يعرض نفسه في صيغة تعدّدية: الآب، والابن، والروح القدس. في هذا الثالوث يلعب المسيح دور العقل المدبر للكون باعتباره الكلمة، أو اللوغوس الذي صدر عن الآب. أي إنه اتخذ دور الشمس كحاكم للعالم في الأفلاطونية المحدثة والرواقية المتأخرة والميثروية. وبذلك صار المناخ الفكريّ مهيئاً للمطابقة بين المسيح وسول إنفيكتوس. وهذا ما حقّقه الإمبراطور قسطنطين.

قسطنطين والعبادة المسيحية – الشمسية :

لقد لعب الإمبراطور قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧ م) في تاريخ المسيحية الدور الذي لعبه قورش الفارسي في تاريخ الديانة اليهودية. فبعد دخول قورش إلى بابل عام ٥٣٩ ق.م ووراثته لأملاكها في مناطق غربي الفرات، أصدر مرسومه الشهير الذي سمح فيه للشعوب التي سباها البابليون ومن قبلهم الآشوريون بالعودة إلى ديارهم. وكان سبي مملكة يهوذا الفلسطينية من جملة المستفيدين من هذا المرسوم، فأخذوا بالعودة إلى أورشليم على دفعات حيث أعادوا بناء المدينة والهيكل، وهي العودة التي آذنت ببداية التاريخ اليهوديّ الذي ترافق مع تدوين أسفار التوراة. أمّا قسطنطين فبعد انتصاره في معركة جسر ميلفيان التي أكسبته عرش روما، أعلن مرسوم ميلان الشهير الذي نص فيه على الحرية الدينية لجميع الطوائف في الإمبراطورية، وعلى رأسها الكنيسة المسيحية التي ردّ إليها أماكن العبادة والعقارات التي صودرت منها في العهود السابقة وسمح لها بالتبشير علناً دون رقيب. وكان هذا المرسوم منعطفاً حاسماً في تاريخ المسيحية التي تحولت بعد أقل من نصف قرن إلى ديانة رسمية للإمبراطورية. وكما أطلق المحرّرون التوراتيون على قورش لقب مسيح الربّ على الرغم من أنّه لم يكن يهودياً (إشعيا ٤٥: ١)، كذلك رفعت كنيسة روما قسطنطين إلى مصافّ القديسين على الرغم من أنه لم يكن مسيحياً.

وتقول القصص التي تحدثت عن معركة جسر ميلفيان التي هزم فيها قسطنطين منافسه ماكسينتيوس، أنّه رأى قبل المعركة على شمس منتصف الظهيرة صليباً نُقشت عليه عبارة « بهذه الشارة سوف تنتصر» (قارن مع التجلّي الإلهي الذي ظهر لأورليان على أبواب حمص، ونُسب بعد ذلك لإله الشمس، مما أوردنـاه سابقاً). وبعد ذلك أمر قسطنطين بصنع راية

على الشكل الذي تبدى له وأضاف إليها الحرفين الأولين من اسم المسيح (= خريستوس)، رُفعت بعد ذلك في المعركة، كما أمر جنوده برسم الشارة على تروسهم ودروعهم. ونحن إذا سلمنا جدلاً بوجود أصل منطقيّ لهذه القصة، فلن نجده إلا في حلم رآه قسطنطين في الليلة السابقة للمعركة، ظهر له فيه إله الشمس التي لا تقهر «سول إنفيكتوس» في منتصف النهار (وهو الوقت المناسب لتجلّي هذا الإله) في هيئة قرص الشمس وعليه شارة ما فُسّرت بعد ذلك بأنها الصليب المسيحيّ. وفي الحقيقة فإنّ مسيرة حياة هذا الإمبراطور تؤكّد لنا هذا التفسير (٦) .

على عكس ما يعتقده الكثيرون فإنّ المسيحية لم تغدُ الدين الرسمي للدولة خلال عهد قسطنطين، وأوّل الأباطرة المسيحيين هذا لم يتلقّ المعمودية وهي طقس الدخول في المسيحية إلا وهو على فراش الموت. إنّ القصة الحقيقية لتحوّله إلى المسيحية ترسم أمامنا شخصية عاهل متردّد فكرياً لم يكن من السهل عليه أن يتخلّى عن معتقداته التي شبّ عليها، لا سيما عبادة الشمس الإمبراطورية، لصالح المسيح. وقد كانت مسيرته في تغيير الديانة الوطنية مسيرة حذرة راقبها كل من المسيحيين والوثنيين بوجل وترقّب لما ستنجلي عنه مواقف مليكهم.

في مرسوم ميلان لم يشر قسطنطين بشكل مباشر إلى إله المسيحيين، بل اكتفى بإطلاق لقب عامّ على الألوهة الكونية التي دعاها «إله السماء»، وهذا اللقب ينطبق على الإله المسيحيّ مثلما ينطبق على إله الشمس. كما أنّ هذا المرسوم لم يجعل من المسيحية ديناً للإمبراطور ولا ديناً للدولة وإنّما ساواها مع بقيّة الديانات المعترف بها في الإمبراطورية وحَصَّنها من الاضطهاد. كما أنّ قسطنطين لم يُتبع مرسوم ميلان بأيّ مرسوم آخر ذي طابع قانونيّ يتعلّق بالمسيحية والمسيحيين، وإنما كان على الناس تتبُّع مواقفه وتصريحاته الشخصية التي تكشف عن ميوله الخاصة لا عن مواقف رسمية حاسمة. فالإمبراطور بقي إلى ما بعد أواسط العمر مثابراً على رعاية الديانة الرومانية التقليدية وأنفق بسخاء على بناء معابد آلهتها، كما رفع أباه المتوفى إلى مجمع الآلهة وأقرّ له عبادة خاصة محتذياً بذلك مثال العديد من الأباطرة السابقين الذي أُلهوا بعد مماتهم. وعلى الرغم من أنه أعلن في سنواته الأخيرة أنه لن يدخل معبداً وثنياً، وعمل على تشجيع كل متعمد بمنحه ثوباً أبيض وعشرين قطعة ذهبية، إلا أنّه لم يتّخذ خطوة واحدة في سبيل إغلاق المعابد الوثنية وصرف كهنتها كما هو متوقع من إمبراطور قرر التحول إلى المسيحية. إنّ كلّ الدلائل تشير إلى أنّ عقيدته الخاصّة كانت مثل أورليان موجّهة نحو إله الشمس الذي اشتُهر في كلّ مكان بأنه الحامي الخاصّ للإمبراطور. ولكنّ هذا الإله كان يتوحّد تدريجياً في عقله بالمسيح الذي قال عن نفسه في إنجيل يوحنا: «أنا نور العالم» (يوحنا ٨: ١٢). وقال : « آمنوا بالنور ما دام لكم النور، فتكونوا أبناء النور» (يوحناً ١٢: ٣٦).

ومع ذلك فقد مجدّت الكنيسة فضائل نصيرها الكريم، وكان اسمه يذكر مضافاً إليه لقب «المساوي للرسل»، ولكنها غضت الطرف عن عيوبه وسقطاته التي لا تتناسب مع هذا اللقب، وكانت المهمّة غير المحبّبة لنفس أسقف روما هي التستّر على فظائعه الكثيرة وتبريرها، لا سيما قتله لابنه الأكبر من زوجته الأولى المدعوّ كريسبوس. كان هذا الابن محبوباً من قبل الجميع لثقافته وعلمه وبسالته، وكان الشعب يهتف باسمه إلى جانب اسم أبيه. ولكن سرعان ما أثارت هذه الشعبية المحفوفة بالمخاطر انتباه الأب الذي كان في الجزء الثاني من حياته يتوجّس خيفة من انقلاب موهوم عليه. وقد غذّا الوشاة هذا الوهم حتى تحوّل في ذهنه إلى حقيقة، وكان المتهم الرئيسيّ في المؤامرة هو الابن التعس الذي خضع لمحاكمة سرّية قصيرة وجرى إعدامه. وبعد فترة أعدم زوجته الثانية التي أنجبت له عدّة أولاد بتهمة الزنا مع أحد العبيد، ولكنّ هذه التهمة لم تكن إلا واجهة ستر وراءها شكوكه بصلة لها بالمؤامرة المزعومة التي أثبت الزمن بعد ذلك بطلانها.

لقد كان قسطنطين يهدف على ما يبدو إلى توحيد الإمبراطورية دينياً بعد أن أعاد إليها الوحدة السياسية. وقد توجّه تفكيره في البداية نحو صياغة الإيديولوجيا الإمبراطورية حول الإله سول إنفيكتوس. فالشمس في سطوعها على أصقاع الإمبراطورية هي خير رمز يعبر عن وحدتها، ثم أخذ يجد ضالّته تدريجياً في النزوع العالميّ للمسيحية ولكن من غير أن يتخلّى عن سول إنفيكتوس، لا سيما وأنّ عبادة هذا الإله كانت توحيدية في جوهرها. وتُعبّر التماثيل التذكارية التي نصبها قسطنطين عن هذه النزعة التوفيقية التي تحكمت بتفكيره. من ذلك مثلاً التمثال الذي أمر بنصبه على عمود بورفيري في عاصمته الجديدة القسطنطينية، والذي يمثّل الإمبراطور على صورة إله الشمس هيليوس وهو يحمل بيده كرة العالم التي ارتفع عليها الصليب (قارن مع صور ميثرا التي أشرنا إليها أعلاه)، وعلى قاعدة العمود نقشٌ يقول: « قسطنطين الذي يضيء مثل الشمس»، وكان نظر التمثال يتّجه نحو الأعلى إلى الشمس الطالعة. وهناك ميداليات ذهبية يظهر عليها الإمبراطور وإله الشمس كتوأمين. ومنذ عام ٣٢٤ أقرّ قسطنطين صكّ نقود معدنية عليها صورته وهو رافع يديه نحو الشمس، أو صورة إله الشمس وهو يظلّل القيصر الذي يحمل بيده لواء الصليب، أو صورة الشمس منفردة وهي ترسل أشعّتها في كلّ اتجاه.

وعلى قوس النصر الذي بناه يظهر إله الشمس إلى جانب الإلهة فيكتوريا ربّة النصر وأمامهما يقف القيصر.

ولم يبق على قسطنطين إلا أن ينتظر إعلان السلطات الكنسيّة رسمياً ألوهية المسيح من أجل أن تكتمل في ذهنه المطابقة بين سول إنفيكتوس، والمسيح وهذا ما تمّ في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م الذي دعا إليه الإمبراطور من أجل توحيد وتنميط العقيدة المسيحية. فقد أقرّ المجتمعون أنّ يسوع المسيخ هو اللوغوس، أو العقل الكونيّ المنبعث عن الآب والمساوي له في الجوهر.

وهكذا توفّرت كل الأسباب الداعية إلى اعتبار يوم ٢٥ ديسمبر/ك١ بمثابة يوم ميلاد يسوع المسيح. وهذا ما أقره قسطنطين عندما قدّس يوم الأحد الذي كان يوماً مقدّساً عند طائفة ميثرا وجعله يوم عبادة وراحة للمسيحيين بدل يوم السبت اليهودي، كما قدّس يوم ٢٥ ديسمبر باعتباره يوم ميلاد المسيح، وهو يوم ميلاد ميثرا وبقية الآلهة الشمسية. ففي هذا اليوم تبلغ الشمس أقصى مدى لها في الميلان عن كبد السماء ويبلغ النهار أقصى مدى له في القصر، ثمّ تأخذ في الارتفاع تدريجياً كلّ يوم ويأخذ النهار في الزيادة على حساب الليل. لقد انتصرت الشمس التي لا تقهر.

بعد نحو عقدين على وفاة قسطنطين أقرّ البابا ليبيريوس في عام ٣٥٣م يوم ٢٥ ديسمبر باعتباره التاريخ المعتمد لميلاد المسيح (٧).





HONOUR

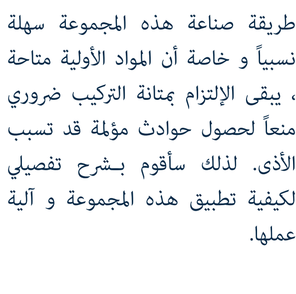
أوقفوا

جرائم الشرف

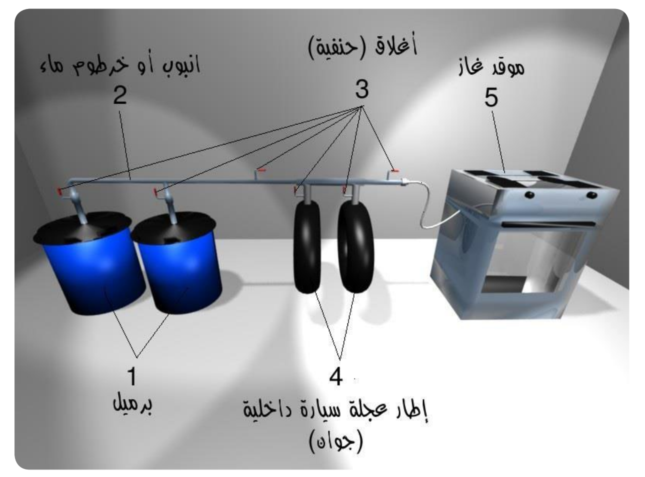




هذا مشروع مبسط يوضح كيفية انتاج الغاز الطبيعي< غاز الميتان> ، عله يساعد في تأمين حاجة السوريين و لو جزئياً نتيجة نقص أو انعدام هذه المادة الحيوية .



طريقة صناعة هذه المجموعة سهلة نسبياً و خاصة أن المواد الأولية متاحة ، يبقى الإلتزام بمتانة التركيب ضروري منعاً لحصول حوادث مؤلمة قد تسبب الأذى. لذلك سأقوم بـشرح تفصيلي لكيفية تطبيق هذه المجموعة و آلية عملها.



بداية ، كل المواد العضوية تطلق غاز الميتان عندما تتحلل، لذلك المادة الأولية لإنتاج الغاز هي الفضلات العضوية <خضار، فواكه ، بقايا أطعمة ....> و أفضل هـذه المـواد هـي مخلفات الحيوانات < الروث> ، و عليه فقد يكون نصيب المناطق الريفية أكبر في إمكانية الإستفادة منه، علماً بأنه بالإمكان وضع كل أنواع الفضلات العضوية معاً.

مكونات المجموعة و تركيبها:

سأعرض هنا عملية صناعة الجهاز بحالته المثالية و التي تستطيعون رؤيتها بالمخطط المرفق ، و بما أن هذه الحالة تحتاج إلى أدوات أكثر قد لا تكون متاحة ، سأقوم بوضع خطط احتياطية و توضيح الحلول البديلة

الأدوات المستخدمة:

١. برميل بلاستيكي أو معدني عدد ٢ ، على أن يحتوي على فتحة كبيرة نسبياً
٢ انبوب معدني إن أمكن و لكن يمكن استعمال خرطوم ماء عادي على أن يكون متين نسبياً و بقطر نصف إنش على الأكثر
٣ صنبور ماء <حنفية> عدد ٥ ، و يفضل مفاتيح خاصة بالغاز إن توفرت
٤ إطار عجلة داخلية لسيارة ، مع ملاحظة أن المخطط يحتوي على اطارين و هذا ممكن و لكن اطار واحد يكفي و أقل تكلفة و أسهل لعملية التركيب
٥ موقد غاز



طريقة التركيب:

نقوم أولاً بوصل قطعة من الخرطوم بطول نصف متر تقريباً بالوجه العُلوي للبرميل من خلال إحداث فتحة مناسبة لقطر الخرطوم و يجب أن يكون الوصل متيناً و محكم بحيث يمنع أي تسرب للغاز، تتم العملية أيضاً بالنسبة للبرميل الآخر ،

يتم تركيب قاطع <حنفية> بنهايتي الخرطومين، ثم نأخذ قطعتين أخريتين بنفس الطول تقريباً<نصف متر> و نصل كل واحدة منهما بالطرف الآخر للقاطع، ثم نصل نهايتي الخرطومين معاً من خلال وصلة ثلاثية <تي> ... «هذه الوصلة غير موضحة بالمخطط :)»

و نقوم بوصل قاطع ثالث بطرف <التي> لنتبعه بوصل قطعة خرطوم طويلة و حسب الحاجة لأن البرميلين سيكونان في الخارج بينما الإطارين و الموقد في داخل المنزل أو المطبخ في نهاية وصلة الخرطوم الطويلة نقوم بوصل قاطع<حنفية> و مباشرة نصل بعدها وصلة ثلاثية <تي>، نصل أحد أطراف ال<تي> بالإطار عن طريق فوهة النفخ <البلف> عبر قطعة خرطوم قصيرة نسبياً و فتحة الوصلة الثالثة نقوم بوصلها مباشرة بالموقد، و لكن و قبل وصلها بالموقد نقوم بلف قطعة صغيرة من شبك معدني و نضعها داخل الإنبوب ، هذا من أجل منع ارتداد اللهب و وصولها ألى خزان الغاز <الإطار الداخلي> و بالتالي حدوث انفجار ، علماً بأنه من الأفضل أن نستخدم مانع ارتجاع و هو متوفر عادة في تمديدات سخانات الماء

ملاحظة هامة : يجب أن تكون جميع الوصلات محكمة و مانعة للتسرب. بالنسبة للإطار الداخلي يجب أن يكون مفرغ تماماً من الهواء.

طريقة التحضير من أجل الإنتاج:

نقوم بتحضير الفضلات العضوية <و يفضل روث الحيوانات على أن لا تكون جافة أو قديمة> و يمكن مزجها مع باقي الفضلات من خضار أو أعشاب خضراء و أي فضلات أُخرى على نقوم بفرمها قدر المستطاع ، نقوم بخلط الفضلات مع الماء بحيث يكون الناتج شديد اللزوجة ثم نملئ البراميل بحيث نترك بضع سنتيمترات قليلة فارغة ، نقوم بإغلاق البراميل بإحكام من خلال وضع جوانات بلاستيكية، نضع البراميل بالخارج و بمكان معرض لأشعة الشمس المباشرة لأن الحرارة المرتفعة تسرع عملية التحلل. يجب ترك البراميل لمدة يومين تقريباً حتى يبدأ انتاج الغاز و لا ننسى أن نفتح القواطع جميعها باستثناء قاطع الموقد طبعاً. يجب تحريك البراميل كل فترة من خلال هزها بهدوء، لاحقاً سيبدأ الغاز بالتجمع في الإطار و عندما يصبح ممتلئ نسبياً نستطيع البدأ باستخدام الغاز، و في حال لم يكن ممتلئ بشكل جيد أو بعد استهلاك كبير يجب علينا الضغط على الإطار أو وضع أي شيء ثقيل عليه حتى يوفر الضغط اللازم لدفع الغاز باتجاه الموقد.

طرق تركيب مبسطة أكثر مع ملاحظات عامة.

إن وجود برميلين له غايتين: الأولى هي انتاج كمية أكبر من الغاز و الثانية هي ملئ البرميلين بفارق زمني ليوم أو يومين حتى يبقى انتاج الغاز مستمراً لأنه علينا أن نقوم بتبديل المواد العضوية المستهلكة عندما تتوقف عن اطلاق الغاز. أما في حال صعوبة تأمين برميلين يمكن الإكتفاء ببرميل واحد.

يمكن الإستغناء عن القواطع <الحنفيات> باستثناء قاطع الموقد طبعاً لكن في هذه الحالة علينا اغلاق الخرطوم من خلال ثنيه عندما نريد تبديل المواد العضوية مثلاً، حتى لا يتسرب الغاز المخزن

من الممكن استخدام البراميل المعدنية التي تُستخدم عادة لتخزين مادة المازوت لكن سنواجه مشكلة في كيفية ملئه بالمواد العضوية و قد يكون استخدام قمع كبير ممكن لتجنب هذه المشكلة

النـــزيـــــف

هو تدفق أو خروج الدم خارج الأوعية الدموية (نزيف شرياني - نزيف وريدي - نزيف شعيري)

الهدف من الإسعاف

- السيطرة على النزيف.
- الحد من تلوث الجرح.
- نقل المصاب بسرعة إلى المستشفى.

أنواع النزيف

- النزيف الخارجي
- نزيف خارجي حاد
- نزيف خارجي بسيط
- نزيف داخلي

النزيف الخارجي

- وهو خروج الدم من الوعاء الدموي المنبثق المفتوح إلى خارج الجسم فيرى الدم ويحس.

الأعراض:

وضوح فقدان الدم الخارجي.

إذا كان النزيف حاد ، أعراض وعلامات الصدمة هي:

١. يشعر المصاب بالضعف و الدوخة.
٢. يبدوا الشحوب على الوجه والشفتين.
٣. برودة الأطراف.
٤. بطء أو عمق في التنفس.
٥. سرعة النبض.
٦. زغللة في العينين
٧. يصبح المصاب قلقاً وكثير الكلام.
٨. ربما يفقد الوعي

طريقة الإسعاف

١ . يوقف النزف بالضغط المباشر (إذا لم توجد أجسام غريبة في الجرح) بالضمادات .

٢. إذا كان هناك جسم غريب وظاهر للعيان ، فيمكن إزالته بسهولة بواسطة قطعة نظيفة.

٣. يضغط ضغط غير مباشر إذا كانت هناك أجسام غريبة داخل الجرح ، وذلك بالضغط أعلى الجرح وذلك بوضع ما يكفي من الشاش على أطراف الجرح بعلو كاف ثم ثبته برباط مشدود.



٤. حافظ على الجزء المصاب مرفوعاً.



٥. أبقي المصاب مستلقياً على ظهره إذا أمكن لمنع الصدمة.
٦. أنقل المصاب بسرعة إلى المستشفى.

النزيف الداخلي

وهو انبثاق الدم من الأوعية الدموية إلى داخل الأنسجة أو تجويف من تجاويف الجسم فلا يرى بالعين بل يُعرف عن طريق الأعراض المصاحبة.

الأعراض:



- عدم وضوح فقدان الدم.
- أعـــراض وعلامات الصدمة.
- وجـود ألم وضعف حول المنطقة المصابة.
- قـد يظهر الـدم مـن إحـدى فتحات الجسم.

طريقة الإسعاف :

١. أرقد المصاب وأجعل رأسه منخفضاً.
٢. ارفع رجليه إذا كانت الحالة تسمح بذلك.
٣. فك أي ملابس ضيقة حول العنق والصدر والخصر.
٤. طمئن المصاب
٥. تحقق من سرعة التنفس (١٦ - ١٨) مرة في الدقيقة والنبض (٦٠ - ٨٠) مرة في الدقيقة وفحص مستوى الاستجابة كل عشر دقائق بالكلام مع المصاب مثلاً
٦. إذا فقد المصاب وعيه ، أفتح مسلك الهواء ، وأعمل على إنعاشه إذا لزم الأمر.
٧. غطي المصاب وضعه تحت بطانية.
٨. لا تعط المصاب أي شيء عن طريق الفم
٩. أنقل المصاب بسرعة إلى المستشفى

ألقى بيل غيتس محاضرة في إحدى المدارس الأمريكية وقدم للتلاميذ إحدى عشرة نصيحة أو مهارة قائلاً لهم: مثل هذه المهارات والأفكار لن تتعلموها في المدارس

وخلال المحاضرة ألقى غيتس الضوء على بعض النقاط الخاصة بالتعليم وكيف أن بعض نظم التربية وبعض المناهج والأساليب تعزز الإحساس الكاذب بسهولة النجاح في الحياة، مما يخلق جيلاً من الناس لا يعي حقائق الحياة، مما يعرضهم للفشل عند مواجهة الواقع

وهذه هي المبادئ و القوانين التي شرحها غيتس للطلاب:

القاعدة الأولى:
الحياة ليست عادلة تماماً و عليك أن تقبل و تعتاد العيش في الظروف التي تعيش فيها

القاعدة الثانية:
العالم لا يعنيه مدى احترامك لذاتك و لا كيف ترى نفسك: فسوف يتوقع منك الجميع أن تنجز شيئاً و أن تؤدي دوراً قبل أن ينتابك شعور بالفخر والتباهي

القاعدة الثالثة:
لن تستطيع الحصول على دخل سنوي قدره ٦٠ ألف دولار بمجرد التخرج من المدرسة الثانوية، و لن تتقلد منصباً رفيعاً لمجرد أنك إنسان محترم، و لن تحصل على سيارة إلا بعد أن تجتهد و تجد في الحصول على الوظيفة المرموقة و السيارة الفارهة

القاعدة الرابعة:
إذا كنت تعتقد أن معلمك شديد و عنيف و أن طلباته المتواصلة تفوق طاقتك، فلا تسرع في الحكم و انتظر حتى يكون لك مدير

القاعدة الخامسة:
لا تظن أن العمل في مطاعم الهمبرجر و غسيل الأطباق وظيفة دون المستوى، فقد كان أجدادنا و آباؤنا و ما زال الناس في الدول الفقيرة يتوقون إلى فرصة عمل كهذه

القاعدة السادسة:
إذا ما أخطأت و سقطت و ارتبكت، فاعلم أن الذنب ذنبك، و ليس ذنب أهلك أو والداك, وبدلاً من أن تبكي و تندب حظك، تعلم من أخطائك

القاعدة السابعة:
قبل ولادتك لم يكن والداك شخصين مملين كما تظن الآن، لقد أصبحا كذلك بسبب مصاريف دراستك وارتفاع ثمن ملابسك الجميلة، والنظر إليك وأنت تكبر يوماً إثر يوم، ولذلك وقبل أن تشرع في إنقاذ و تغيير العالم و إنقاذ الغابات الاستوائية من الدمار و في حماية البيئة والتخلص من السلبية في العالم، اشرع أولاً في تنظيف دولابك الخاص،وأعد ترتيب غرفتك

القاعدة الثامنة:
قد تكون مدرستك قد تخلصت من المتفوقين و الكسالى معا، إلا أنهم ما زالوا موجودين في كل مكان

و في بعض المدارس تم إلغاء درجات الرسوب حيث يتم منح الطلبة أكثر من فرصة لإعطاء الإجابات الصحيحة وهي فرص لن يتمتعوا فيها عند الخروج إلى الحياة العملية، ففي بعض الأحيان لا يتم منحنا إلا فرصة واحدة فقط

القاعدة التاسعة:
الحياة ليست سلسلة من الفصول الدراسية المتتابعة، ولن تستطيع أن تقضي كل فصل صيف في إجـازة، ولن يكون أصحاب الأعمال مثل المعلمين متفرغين فقط لمساعدتك

عليك أن تساعد نفسك وأن تنجز كل أعمالك على حساب وقتك أنت

القاعدة العاشرة:
الحياة التي نراها في الأفلام السينمائية و التلفاز عموماً ليست واقعية ولا حقيقة

في الواقع لا يقضي الناس كل وقتهم في اللعب والإجـازات والجلوس في المقاهي الفارهة، بل عليهم الذهاب إلى العمل وخطوط الإنتاج

القاعدة الحادية عشرة:
عليك أن تحترم زمـلاءك وأصدقاءك المنهمكين في الدراسة والبحث و الكتابة ليل نهار, ربما تعتبرهم مجانين وغريبي الأطوار، لكنهم سيكونون أكثر استعداداً لمواجهة الحياة وربما ينتهي بك المطاف وأنت تعمل لحساب أحدهم

لتحميل المجلة

issuu

issuu.com/i-think-magazine

Mediafire

http://www.mediafire.com/?odd3nd897q2ne

Box

www.box.com/s/zhwajbeglqpq2enaqzp

facebook

facebook.com/I.Think.Magazine.

شكراً...عيشوا سعداء


11
أنا أفكر
iThink
magazine مجلة
لأن اليقين حماقة